روايات عبير الجديدة

جودي ترنر

# الخداع البريء

www.elromancia.com
مرمودية

روايات عبير الجديدة

# الخداع البريء

## جودي ترنر

كانت فانيسا حزينة جداً، ان ثروتها الكبيرة جعلتها تعيش في وحدة مريرة، وكان الجميع يهتمون بها فقط من اجل ثروتها.

هربت فانيسا الى لندن متنكرة بملابس زجل، وفي الطريق، التقت بشاب نبيل فاتن، جيروم هاركورت، الذي يبحث عن زوجة غنية، ومن باب الحذر، اخفت عنه هويتها الحقيقية، وبسرعة وقعت فانيسا في حبه، لكن هذه الكذبة اوقعتها في مواقف محرجة...

www.elromancia.com

# - ١ -

«لو كان الامر يعود لي انا فقط، فاني سأسمح لك به بكل سرور، فانيسا، ولكن السيد فريدريك تالبوت هو الوصي عليك، وهو لا يريد سماع شيء، ويقول بأنه عندما تبلغين الثامنة عشرة من عمرك سيصطحبك الى لندن، انه سيفعل كل ما هو مناسب، ولكن ليس قبل ذلك، حقاً يا عزيزتي، لا تنظري الي هكذا، لانني لا استطيع ان اجعله يغير رأيه».

ولكن الآنسة فانيسا باسكومب ظلت تنظر الى خالتها بغضب، وكانت فانيسا تربط شعرها الاشقر بشريطة بيضاء وترتدي ثوباً من الساتان وتنتعل حذاءً من الساتان ايضاً مستورد من فرنسا، الغضب بادياً على وجهها الجميل.

«قولي له بأنني اصبحت بالغة وانني اقرب الى السن

الثامنة عشرة من سن السابعة عشرة، وقولي له بأنني سأموت من الملل في الريف، وليس لدي سوى ابنة خالتي، قولي له... قولي له انني سأذهب الى هناك».

التفتت خالتها نانسي الى الفتاة التي تجلس بقربها، وكانت الفتاة في العشرين من عمرها، والتي وضعت الكتاب من يدها ونهضت واقتربت من فانيسا.

«فلتتكلم بجدية اكثر، يا ابنة خالتي، انت تعلمين ان والدتي تقول الحقيقة، فهي لا تستطيع اقناع السيد تالبوت بالسماح لك بالذهاب الى عرافتك، تكوني متعقلة قليلاً».

«رودا يا عزيزتي رودا، ليس من العدل ان انتظر الى حين بلوغي الثامنة عشرة، فأنا قد ذهبت الى سهرات كثيرة هنا، والى حفل خطوبة اونيل، والى حفلة باميلا التنكرية، وعدة شبان عاملوني باستخفاف والجميع يجدون انني صغيرة جداً».

«هيا، فانيسا، اليس هذا صحيحاً؟ لقد اخبرتني بنفسك ان رفيق باميلا قال بانه لم يكن يعلم بأنه يسمح للاطفال بحضور هذه الحفلات، والا لكان احضر ابنة عمه الصغيرة التي لا تبلغ العاشرة من عمرها».

«هيروم هاركورت كان منزعجاً لاننا نثرثر كثيراً، وكان يريد الاحتفاظ بباميلا، لنفسه، انه فظ وانا لا افهم لماذا تريد باميلا الزواج منه».

«انه رجل جميل ومليء بالسحر».

«انا لا اجده ساحراً، انه...».

«لقد سبق واخبرتينا برأيك، اسمعي فانيسا، لقد قلت



انك احببت سهرات الريف هذه، اذن لماذا لا تستغليها ايضاً، قبل رحيلك الى العاصمة؟».

«هذه الفرصة لن تتكرر وانا لا اريد ان افوتها، فعرافتي لن تدعوني مرة ثانية اذا لم اذهب هذه المرة، وانا لا ارغب ابداً ان اقدم عن طريق آل تالبوت، انهم بخلاء، ويريدون ان يؤخروا دخولي الى السنة القادمة فقط من اجل اسبابهم الانانية».

«قد يكون هذا صحيحاً، ولكن لماذا تعتقدين ان آل تالبوت لا يتركونك تذهبين الى منزل اللايدي هاريسون؟».

«لان ابنتهم المعكوفة الانف يجب ان تقدم في السنة القادمة، ويعتقدون انهم يوفرون المال بتركها تستغل حفلاتي، بعد كل شيء، ان اموالي هي التي تغطي نفقات الحفلات، وليست اموال تالبوت».

«هيا فانيسا، هذا ليس لطيفاً» قالت لها خالتها معترضة.

«كما وانهم يتمنون ان تتمكن ابنتهم من التأثير علي عندما اقيم عندهم لمدة شهر».

«اذا طلبك الكابتن تالبوت للزواج، ستكونين حرة في الرفض» قالت لها خالتها.

«واذا عاش تحت نفس السقف معك خلال الشهر، واذا اصر على الزواج منك، سيكون بطلاً وانت ستكونين فخورة بالزواج منه» اضافت رودا ممازحة.

«انا افهم ما تعنينه، ولكن بعض الرجال يتزوجن فقط بسبب الوضع المالي، والجميع وللاسف يعرفون انني ثرية جداً».



www.elromancia.com

«فانيسا، ما هذه الوقاحة. . .» صرخت خالتها.

«ليس هذا هو كل شيء» قاطعت رودا والدتها «هناك سبب آخر لدى السيد تالبوت من اجل الرفض، اشرحي لها يا امي».

«حسناً، يا ابنتي، السيد تالبوت والسيدة هاريسون في وضع سيء منذ زواجها من افارارد هاريسون، ولهذا السبب رأت انه من غير اللائق مقابلتك لها بشكل مباشر وكان من الطبيعي ان اطلب موافقة الوصي عليك، فأجابني فوراً بانك يجب ان ترفضي، وان يعرفك هو بنفسه على اللايدي هاريسون».

«لم اكن اعلم» همست فانيسا، ووقفت امام النافذة.

«ارأيت الآن، اننا لا نستطيع ان نفعل شيئاً» قالت خالتها ثم انضمت الى فانيسا «يا الهي، الطقس ردىء جداً، وقد يتساقط الثلج».

«انت محقة يا خالتي» اجابتها فانيسا بحزن «سأصعد الى غرفتي واكتب للسيدة هاريسون، ولكن ايضاً للسيد تالبوت لاخبره بما افكر به، ثم سأرتدي معطفي واذهب لايداع الرسائل في بريد القرية، اتريدين مرافقتي رودا؟».

«لا شكراً، فالطقس بارد جداً، وانا اريد ان انهي القبعة التي تتناسب مع ثوبي، فنحن مدعوون لسهرة مساء الثلاثاء القادم، وبما ان السيد تالوي سيكون قد عاد من نيو كاستل، فأتمنى ان يكون رفيقي في الرقص».

وكان السيد تالوي خطيب رودا، وهو شاب محترم وصاحب ثروة لا بأس بها.



«انا سعيدة لتعقلك فانيسا فهذا يعني انك قطعت مرحلة الطفولة».

«بدون شك، وانا لا اريد ان اكون صعبة، ولكن. . .».

«ولكنك لا تستطيعين» قاطعتها رودا مبتسمة، «فانا لا ازال اذكر عندما كنت في السابعة عشرة من عمري كان الريف يشعرني بالملل المميت، آه، لدي فكرة قبل رحيله اخبرني السيد تالوي انه سيصطحب معه ابن عمه، وهو يكبرك بعامين تقريباً، اتقبلين ان يأتي الى الحفلة وان يكون فارسك؟».

«سيكون هذا رائعاً» اجابتها فانيسا.

سرت رودا وكانت تعتقد ان الجميع يعتبرون خطيبها افضل منها.

وبعد ساعة لو رأت رودا تلك القامة المتجهة نحو الاسطبل لاعتقدت ان فانيسا ذاهبة الى مركز بريد القرية.

لكنها لو رأت فانيسا ترتدي ملابس شارلي موردريد وتضع في حزامها كل اموال خالتها الخاصة بمصروف الشهر القادم، لكانت اصيبت بالرعب والهلع، ولكنها لم تكن قلقة على فانيسا، ولم تصعد الى غرفتها قبل عدة ساعات ولم تدري ان فانيسا اتجهت الى لندن.

كان جيروم هاركورت يتناول فطوره في قصر هاركورت وهو بمزاج سيء، ويتأمل النافذة.

«انظر الى السماء، لن يمكننا الذهبا الى الصيد اذا تساقط الثلج، هل وصلني بريد اليوم، مانسنغ؟» ووضع يده على جبينه.



www.elromancia.com

«هل تعاني من صداع سيدي؟» سأله الخادم مانسنغ الذي يعمل منذ مدة طويلة في القصر، والذي اصبح كفرد من العائلة، وناوله رسالة.

«نعم، يا له من مشهد تسببت به والدتي عند وصولي ليلة امس، انه شيء يدفع المرء للشرب كثيراً، انها تظن حقاً ان الآنسة كورتني، ورقة رابحة، وان ثروتها اصبحت في ايدي آل هاركورت، وهذا بالفعل ما كان سيحصل لو لم يحكم والدها على هذا الارتباط...».

«انا افهم قلق السيدة هاركورت، سيدي ان سعادتك...».



## - ٢ -

«آه سعادتي، انها تتهمني بأنني أفسد حظي بالزواج، بالتلاعب مع فتاة صغيرة... واخيراً تركتني اغرق همومي بالكونياك الذي تركه والدي للمناسبات الكبيرة، هذه الرسالة من عمي السير توماس ريمنغتون...» وقرأها بسرعة ثم نهض ونظر الى النافذة من جديد.

«ما رأيك بالطقس، مانسنغ؟ هذه رسالة مهمة جداً، كم نحتاج من الوقت لكي نرحل من هنا؟».

«ساعتين تقريباً، ولكن لماذا انت مستعجل على السفر بسرعة؟».

«بسبب هذه الرسالة، فالسير توماس يخبرني انه مضطر لاستقبال ابنة زوجته بالمعمودية، ماتيلدا راندولف، في لندن، لديها والد عجوز وليس لها والدة، فعمي وعمتي



www.elromancia.com

اقترحا ان يقوما مكان والديها في موسمها الاول، وهي غنية جداً كونها الابنة الوحيدة».

«ويريد عمك ان تعود الى العاصمة؟».

«نعم، ومن المؤكد انها بشعة وبشكل مخيف، وهو يتمنى بالطبع، ان اكسب قلبها، وثروتها».

«وكيف يعتقد عمك انك ستتمكن من اغرائها؟ وعامة، الاباء لا يهتمون بسحرك».

«يبدو ان هذا الوالد يعبد ابنته، ويعتقد عمي انني سأتمكن من جعلها تقع في غرامي، وسيقبل والدها بزواجها».

«بهذه الحالة، ستتخلى عن اللعب، وعن سباقات الخيول، وعن العشيقات...».

«الم تلاحظ انني بدأت بذلك، والفاتنة دينا وجدت رجلاً آخر لحمايتها، وهذا ما يجعلني حزين للافتراق عنها، ولكننا كنا معاً منذ عدة اشهر... اسمع، مانسنغ اذا تمكنت من اغراء تلك الوريثة، فأني سارتب كل شيء، كنت سعيداً هنا، وانت ايضاً، عندما كان والدي لا يزال علىّ قيد الحياة، واخي الكبير فيليب، اتذكر ذلك؟ كان القصر يعج بالخدم، وكان الجميع سعداء، حتى المزارعين، بالامكان البدء من جديد... هيا، اسرع يا صديقي، واعد حقائبنا».

وخرج جيروم وهو مطأطأ الرأس، فاصطدم بوالدته في المدخل.

«جيروم انتبه، الى اين انت ذاهب دون ان تنظر



امامك؟».

وكانت ديمتريا هاركورت سيدة جميلة، ومنذ سنوات كانت قد وقعت على بياض على هذا المنزل، لكي تدفع تكاليف لذتها ولذة ابنها الكبير فيليب الذي كانت تعبده، وبعد وفاة هذا الاخير في حادث صيد، وكان جيروم يبلغ الرابعة عشرة من عمره فقط، واصبح هو الوريث، ففهمت انه يجب عليها اما ان تقلل من النفقات او ان لا تترك لولدها سوى الديون، وببرودة اختارت الحل الثاني، ومنذ ثلاثة سنوات اخبرها جيروم ومحاميه انهامضطرة للانفاق من مالها الخاص في المستقبل.

ولهذا السبب اخذت تبحث لجيروم عن زوجة غنية.

«عفواً، ديمتريا كنت ساهياً، وسأسافر الى لندن بعد قليل».

وكانت منذ مدة طويلة قد توسلت اليه ان لا يناديها ماما، فهذا يشعرها بالشيخوخة، وهكذا كان جيروم يناديها باسمها دائماً الا عندما كان يسعى لاغضابها.

«الى لندن؟ كنت اعتقد انه بعد فشلك الذريع ست...».

«نعم، انا اعلم ماما، لا يجب علي ان ادع الآنسة كورتني وثروتها تفلتان من يدي، لقد اخبرتني مساء امس بذلك، ولكني احترم واجباتي العائلية، وانا ذاهب الى لندن لان عمي السير توماس وزوجته يستقبلان فتاة...».

«آه، هل هي الآنسة راندولف؟».

«بالفعل، ولكن كيف...؟».

«انا احاول ان اعرف كل شيء عن الوارثات، يا بني، سأرافقك، انا متأكدة ان ماريا العزيزة تريد ذلك».

«يا الهي، لا، بوجودك...».

«جيروم، يكفي ما حصل عندما تركتك وحدك مع الآنسة كورتيني، وقبل ذلك مع الآنسة سيرافيا كوبلاند، ومع الآنسة انابل و... واذا لم اتدخل سيقال عنك انك تسعى وراء ثروة العازبات الوارثات دون ان تنجح في ذلك».

«آه يا الهي، ارى انني لن استطيع منعك من الذهاب الى العاصمة ولكن ليس برفقتي، لانني سأذهب على الحصان بعد ساعة فقط.

«مستحيل، لا يمكنني السفر الآن يلزمني يومان سألحق بك اذا تركت لي مانسنغ».

«حسناً، ولكن الثلج سيجعل السفر صعباً، وانت تكرهين الثلج».

«من اجلك انت جيروم، انا مستعدة لكل شيء».

انطلق جيروم في رحلته وحده، وعندما رأى الغيوم المتلبدة فكر بالعودة الى منزله، لكنه خشي ان تقرر والدته مرافقته وهكذا سيكون مضطراً للتأخر اكثر، فتابع سيره نحو الجنوب، وسلك طريقاً فرعية، ومع غروب الشمس هب هواء قوي، فقرر البحث عن فندق في هذه المنطقة.

وازدادت قوة الهواء و لكن جيروم قاوم، واخذ يحث جواده على الاستمرار في السير، وفجأة لمح فارساً على جواده يسير ببطء تحت الثلج المتساقط بغزارة فحث جواده



على اللحاق بهذا الفارس المجهول ليسأله عن اقرب فندق.

وعندما اقتربت المسافة بينهما، التفت الفارس المجهول الى الوراء، وبدل ان يتوقف لكز جواده وتابع سيره، ناداه جيروم ونكز حصانه ايضاً، وعندما اصبح على نفس المستوى، صرخ للفارس وتوقف، لكن الفارس المجهول لم يجبه وتابع سيره.

تفاجأ جيروم بتصرف هذا المجهول وتبعه غاضباً، ثم امسك بزمام حصانه، وهكذا وقع الحادث، وتعثر الحصان ووقع الفارس المجهول في حفرة عميقة مليئة بالثلوج.

حاولت فانيسا ان تتعلق بأي شيء لتخرج من هذه الحفرة، وخافت من هذا الرجل، وتساءلت ايكون لصاً ام مجرماً، ام انه مرسل من قبل خالتها نانسي لكي يعيدها بالقوة الى باسكومب هال.

قفز جيروم عن فرسه، واقترب منها.

«لماذا خفت مني؟ كنت اريد فقط ان أسألك عن اقرب فندق، انا لست لصاً، دعني اساعدك، فقد تكون اصبت بكسور.

ثم ابتسم، وساعد فانيسا بالصعود، وللاسف لامست يداه المنطقة الاكثر دغدغة في جسدها، فضحكت وهو يساعدها في وضع اقدامها على الارض الصلبة.

كانت دهشته كبيرة عندما لاحظ انها ليست رجلاً.

«عفواً سيدتي، اعتقدت انك... انك...».

واخذ يتأمل قامتها، وكانت قبعتها قد وقعت على الارض

وظهر شعرها الطويل، لكنه ظل يتأمل ملابسها وحذاءها الذي استعارته من ابن خالتها شارلي.



## - ٣ -

وتأملت فانيسا الرجل بدورها، وظهرت الدهشة على وجهها، انه جيروم هاركورت نفسه، الذي كان يراقص باميلا، والذي سخر من صغر سنها لحضورها تلك الحفلة. لكنه يبدو انه لم يتعرف عليها.

«فتاة، وتتنكر بزي صبي، ولكن شعرك...».

ثم تناول قبعتها واعادها الى رأسها، لاحظت فانيسا ان جوادها قد اختفى فركضت الى خلف الاشجار تبحث عنه وتناديه، لكنها لم تجده ورجعت غاضبة.

«ايها الغبي، انظر ماذا فعلت، لقد هرب حصاني، ومعه حقيبتي التي تحتوي على كل ما املكه، لا تبق هكذا، اذهب وابحث عنه الا تسمعني؟».

«ابحث عنه؟ لا يمكنني ان اخاطر بحصاني على ارض



www.elromancia.com

مجهولة مطمورة بالثلوج، ولو كنت مكانك لحافظت على امكانياتي المتاحة لي، فأنا وسيلتك الوحيدة فأرجوك، القليل من الادب لو سمحت».

فدفعته فانيسا عنها واخذت تركض وتصرخ منادية على حصانها بادن، ثم سمعت خلفها ضجة وفجأة وجدته يحملها ويضعها امامه على حصانه الاسود.

«ايتها الغبية، ماذا سأفعل لو كسرت رجلك هنا؟ لقد اصبح بادن بعيداً جداً، وانا اعتقد انك هاربة، اذن قولي لي الحقيقة لو سمحت؟ اريد ان اعيدك الى اهلك بأسرع وقت ممكن، لا بد انهم قلقون عليك، ولا اريد نقاشاً».

وكان يمسكها بين ذراعيه بحزم، فأحست فجأة بأنها صغيرة جداً، وضعيفة وتائهة، فسالت دموعها على وجهها بمرارة.

«انا... انا ليس لدي اهل، واعيش مع خالتي، ولدي وصي علي وهو عجوز لئيم بخيل، يدفع لخالتي لكي تهتم بي لانه لا يستطيع تحملي، وافضل الموت على ان اعود الى هناك».

«يا الهي، ولكن دعي هذا جانباً، الى اين كنت ذاهبة؟».

«الى معمدتي، في لندن، لقد دعتني لقضاء الموسم عندها، ولكن الوصي علي منعني، ولهذا السبب هربت».

«وما اسم معمدتك؟».

«وماذا يعنيك انت من كل هذا؟ اتريد ان ترغمني على العودة الى المنزل؟ لن اعود ولن اقول لك شيئاً، انا...



انا...» واجهشت بالبكاء.

«كفى، لن ينفع البكاء، سأضعك في عربة المسافرين الى العاصمة، وسأدفع اجرة نقلك، وانا نفسي ذاهب ايضاً الى العاصمة، وسأعيدك الى اهلك بنفسي، ولا تفكري انني سأتركك وحدك في المدينة يبدو لي انك نشأت في بيئة جيدة، ولا تدركين الاخطار التي قد تواجهك في لندن، هيا اذن واعطيني اسم وعنوان معمدتك».

انها اللايدي هاريسون، زوجة السير ايفارارد، ويسكنان في شارع جورج».

«حسناً، وانت؟ ما اسمك؟ واعدك ان لا ارغمك على العودة الى اهلك قبل ان تتغير الظروف جذرياً».

«اية... انا... فيولا توريس».

«وانا جيروم هاركورت، واتساءل ماذا سيكون موقف اللايدي هاريسون عندما تراك، وبعد كل شيء، لقد رفض السماح لك و...».

«لا» صرخت فانيسا وابتسمت لاول مرة «اللايدي هاريسون لا تعلم شيئاً لان الوصي علي يكرهها وهما لا يتكلمان معاً، وهو يعتقد انني كتبت اليها لكي ارفض».

«آه، يا لك من مخادعة، اذن سأرافقك الى لندن، هيا اني ارى منازل امامنا، آمل ان نجد لنا مكاناً في الفندق، فأنا سأموت من البرد والجوع».

وكان الفندق مضاءً والنار مشتعلة في الموقد.

«آنسة نوريس، الافضل ان نقول انك ابنة عمي، وسأناديك... اوليفر... ايمكنك الاجابة عندما اناديك

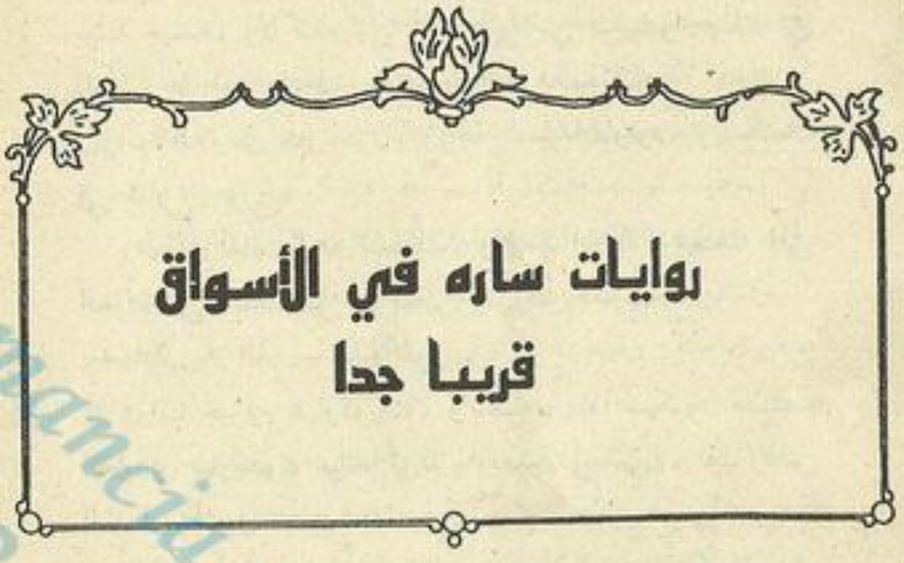




اوليفر؟».

هزت فانيسا رأسها فاستقبلتهما صاحبة الفندق وقادتهما نحو السلم.

«اتريدان غرفة؟ بامكاني ان امنحكما افضل غرفة في الفندق، ورغم اننا بعيدون عن الطريق العام، الا ان الفندق مليء بالنزلاء».

«الا يمكنك تأمين غرفتين لنا؟» سألها جيروم «لان ابن عمي يتكلم كثيراً وهو نائم».

«آسفة سيدي، ولكن اذا اردت بامكان ابن عمك ان ينام مع ابني في غرفته».

نظرت اليه فانيسا وقد عقدت حاجبيها.

«لا، لا بأس سأضع القطن في اذني» اجابها ونظر بمكر الى فانيسا.

رافقتهما السيدة الى غرفتهما فطلب جيروم ان تؤمن له الماء الساخن بسرعة، وبعد خروجها تأملت فانيسا الغرفة.

«يا الهي، سرير كبير واحد، يجب عليك ان تنام على الارض، بامكاني ان اتابع رحلتي، اذا اعارتني صاحبة الفندق حصاناً ولكن...».

قاطعها جيروم وفتح حقيبته وناولها فرشاة شعر.

«هيا سرحي شعرك، واغسلي وجهك قبل ان ننزل لتناول العشاء».

فأخذت فانيسا تسرح شعرها بهدوء، فغضب جيروم وتناول الفرشاة من يدها، ووقف خلفها يسرح لها شعرها بعنف وبدون رحمة.



www.elromancia.com

«كفى، آي، بامكاني ان اسرحه بنفسي».

«لا يمكنني ان اترك العشاء يبرد، بينما انت ستقضين ثلاثة ساعات في تسريح شعرك، هيا لا تتحركي، والا سأستعمل هذه الفرشاة على مكان آخر من جسدك وسأجعلك تشتكين حقاً».

وبعد قليل دخلت الخادمة ووضعت الماء الساخن على الطاولة، واخبرتهما ان العشاء سيكون جاهزاً بعد ربع ساعة.

«كان يجب ان نقفل الباب» قال لها جيروم، ثم تأملها قليلاً.

«حسناً، هيا بنا الآن لنتناول العشاء».

كان العشاء لذيذاً، وكان يجلس قربهما طبيب من الريف، ومزارعان مسنان، وبعد تناول العشاء طلب جيروم كأسين من البانش، فشرب كأسه وكأس فانيسا، واصبح بمزاج مرح، ولم يصعدا الى غرفتهما الا بعد ان نام الجميع.

«يا الهي، هذه الغرفة باردة جداً» واخذ يخلع ملابسه.

«هيا اخلعي حذاءك ومعطفك ونامي».

«ماذا تفعل؟ اتريدني ان انام على هذه الكنبة؟».

تمدد جيروم على السرير ووضع شرشفاً بالطول في وسط السرير.

«طبعاً لا، سننام معاً على هذا السرير، لا تخافي سأحترم هذا الحاجز، ولن اتخطاه».

تأملت فانيسا الكنبة الصغيرة، ولم تشعر بالرغبة في



النوم عليها، فخلعت معطفها وبوطها، وصعدت الى السرير، وسحبت الغطاء حتى ذقنها، وعندما فك جيروم ازرار قميصه وظهر صدره العاري، نظرت اليه فانيسا بذهول.

«لا تخافي» قال لها بسخرية «لن اطلب منك ان تفعلي مثلي، فهذا القميص الوحيد، ولا اريده ان يتجعد».

«يبدو لي انك لست بحاجة لقميص مع كل هذا...».

«هذا الشعر على صدري؟» ثم تمدد على السرير وانحنى فوق الحاجز الذي وضعه «والآن قولي لي انك آسفة وقبليني».

«لن اعتذر ولن اقبلك، واذا تجرأت...».

«آه، اهذا تحدي؟» ثم ضمها اليه بيديه القويتين، واطبق شفتيه على شفتيها.

حاولت فانيسا ان تتخلص منه، لكنه كان قوياً جداً، وعندما احست بشفتيه، شعرت برغبة غريبة وتمنت لو تبادله القبلة لكن هذا جنون، فأخذت تقاومه الى ان تركها.

«انا آسف، لقد شربت الكثير من البانش، هيا، نامي الآن، لا داعي للقلق، فأنا انفر من ذوات الشعر الاحمر، تصبحين على خير، ايتها القطة الصغيرة».

ثم ادار ظهره وغط بسرعة بنوم عميق، وظلت فانيسا تنتظر النعاس، لكنها لم تتمكن من النوم، واخذت تفكر بهذا الوضع، الغريب كيف ستكون صدمة العمة نانسي لو رأتها بهذا الوضع؟ وكيف ستكون ردة فعل رودا؟ اما الوصي عليها وزوجته، فسيقولان انهما كانا يتوقعان ذلك،

وسيرغمان جيروم على الزواج منها لانقاذ سمعتها، انتفضت فانيسا لهذه الفكرة، جيروم المسكين، سيعاقب على طيبته.

واذا ارغمت على الزواج، من سيهتم اذا كانت سعيدة ام لا؟ لقد مضت اربعة سنوات على وفاة والديها، وقضت سنة كاملة عند آل تالبوت، وكانت تكرههم، وتتأسف على الحياة في باسكومب هال وعلى والديها، واخيراً قرر السيد تالبوت ان تقيم العمة نانسي بذلك واعتقدت ان عمتها تهتم بها بدافع المحبة، لكنها غضبت كثيراً عندما علمت ان السيد فريدريك تالبوت يدفع لها المال لكي تربي فانيسا.



## - ٤ -

وادركت فيما بعد ان عمتها وابنتها رودا وابنها شارلي قبلوا بالعيش معها من اجل المال الذي يحصلون عليه، وفكرت وهي مستلقية على الجانب الايسر من السرير بانها اذا ادخلتها معمدتها في العالم الكبير، فهي لن تكون متقدمة جداً، وهي لا تعلم اذا كان الرجال الذين تقدموا للزواج منها يحبونها لشخصها ام يحبون ثروتها.

هذا كثير، واحست باليأس وخبأت وجهها تحت الوسادة واجهشت بالبكاء.

وفجأة احست بيدين ترفعانها، ووجدت نفسها بين ذراعي جيروم يحاول تهدأتها، فرفعت رأسها نحوه، وقررت ان لا تخبره شيئاً.

«لماذا؟» سألها بحنان وهو يداعب شعرها «فأنت ذاهبة



www.elromancia.com

الى اللايدي هاريسون، وستتسلين كثيراً، ثم ستتزوجين دوقاً او اميراً تعيشين معه بسعادة وتنجبين اطفالاً جميلين».

«لا اريد الذهاب الى معمدتي، فهي لم تدعوني الا من اجل اغاظة الوصي علي، اريد البقاء مع احد... احد يريدني لنفسي».

واسندت رأسها الى صدره بيأس كبير، فأحس جيروم بدقات قلبها، وبدفء هذا الجسد الصغير الذي يستند اليه وبرائحة هذا الشعر الاحمر الذي يشعره بالدوار.

فقبل خدها المشتعل، ثم قرب شفتيه من شفتيها، واحست بانها امام رجل شريف يحاول ان يواسيها، وكانت تعتقد انه سيكتفي بضمها وبتقبيلها، ولكن الحقيقة مختلفة جداً، وهذه الحقيقة يعرفها جيروم جيداً، وهو يعرف انها امرأة كاملة، رغم انها ترتدي ملابس رجل، ويجب ان يتوقف في الوقت المناسب، فدفعها عنه بهدوء.

«اتشعرين بتحسن؟ هيا، يجب ان تنامي، امامنا غداً طريق طويلة وشاقة».

فابتعدت عنه واحست بالاسترخاء، والنعاس، ورمت برأسها على الوسادة وعندما اغمضت عينيها همست.

«جيروم».

«نعم».

«كنت اعتقد انك تنفر من ذوات الشعر الاحمر».

«في الليل، كل القطط تتشابه، نامي، فيولا» ثم ضحك.

استيقظت فانيسا ولاحظ ان رأسها يستند على شيء



دافىء، ولم تكن ترغب في ان تنهض لانها كانت تشعر بانها سعيدة، وسمعت تنفساً عميقاً وهواء فاتراً على شعرها.

فتحت عيونها بصعوبة وكاد قلبها يتوقف انها تنام بين ذراعي جيروم ورأسها على صدره العاري... وتذكرت الحاجز الذي وضعه جيروم بينهما وتعجبت ثم تذكرت مؤاساة جيروم لها، وشعرت بالعار، لكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من الابتسام، لقد نجح جيروم في ازالة قلقها ومخاوفها، ولكن هل هذا حقيقي؟ انه نفس ذلك الرجل الفاتن الذي احتقرها في حفلة باميلا بسبب صغر سنها، واخذت تتأمل وجهه انه فاتن جداً، اكان صاحياً ام نائماً لقد وقعت في الغرام، تمتمت فانيسا، ولكنه في الثلاثين من عمره تقريباً، وصاحب مغامرات عديدة، ولست فقط احبه، بل اشاركه الفراش.

فأرادت النهوض، وبنفس اللحظة فتح جيروم عينيه ببطء وابتسم لها بحنان، فابتسمت له وهي ترتعش، وتذكرت قبلاته، فهي لا تعلم جيداً ماذا يدور بين الرجل والمرأة في السرير، لكنها متأكدة انه شيء رائع، وتمنت لو يقبلها من جديد، ولكنه فجأة فتح عينيه جيداً وابعدها عنه.

«لماذا ايقظتني الآن، لا بد ان الوقت لا يزال باكراً، هيا، انهضي كفتاة لطيفة وانظري كم الساعة الآن، انها هناك على الكرسي، بامكاننا ان ننام ساعتين ايضاً» خضعت فانيسا ونظرت الى ساعته.

«انها السادسة تماماً، ايمكنني ان اعود الى النوم؟».



www.elromancia.com

«كما تشائين؟» واعاد الحاجز الى وسط السرير «ولكن كيف هو الطقس في الخارج؟».

«لا يزال الثلج يتساقط» وعادت الى السرير ونظرت الى جيروم بتحد، فتأملها قليلاً ثم رفع رأسه بهدوء.

«هيا، هيا، لا يجب ان نفكر بأشياء اخرى» قال لها غاضباً.

«لا يمكنني ابداً ان اقبلك في وضع النهار اتعلمين ذلك؟».

احست فانيسا بألم كبير في قلبها وحبست دموعها، وسألته.

«لماذا انت غاضب هكذا؟».

«لانني تصرفت بغباء مساء امس» قال لها بجفاف «فأنت لست سوى فتا صغيرة، لكنني مساء امس كنت ارغب بك».

«و... هذا الصباح، انت لا ترغب بي؟ انا مسرورة جداً».

«ها انت فتاة متعقلة، نامي الآن، بامكاننا ان ننام ساعتين ايضاً، وعندما ستستيقظين ستجدين ان افكارك الرومنطيقية قد تبددت، وانك مستعجلة للذهاب الى لندن، ولحضور حفلاتها».

احست فانيسا انها ستختنق، لا بد ان فهم ما يجول بخاطرها عندما ابعدت الحاجز الذي وضعه، واحست بالعار، لا بد انه يضحك عليها في قراره نفسه.

واخيراً انقذها كبرياؤها، لقد كانت مجنونة عندما



اعتقدت انها وقعت في غرام اول رجل يقبلها، انه جميل وقوي، نعم لكنها ستلتقي برجال آخرين غيره، ولكنها ستحتفظ الى آخر يوم في عمرها بذكرى اول قبلة لها وبابتسامته الحنونة وهو يضمها اليه، ويجب ان تكون ممتنة له لانه تركها عذراء سالمة، ولانها كانت تعلم بأنه لو حاول اغراءها لما كانت تستطيع ان تتخلص منه.

وما ان سمعت تنفسه العميق حتى نهضت على رؤوس اصابعها لقد طلع النهار، ولم تعد بحاجة لمشاركته الفراش، ستنزل الى الاسفل فهي تسمع حركة هناك، وستطلب فنجاناً من الشوكولا الساخن، ثم رمت المعطف على كتفيها، وانتعلت بوطها والتفتت نحو النافذة، وكانت دهشتها كبيرة عندما رأت حصانها بادن يقوده رجل الى اسطبل الفندق، واتجهت ببطء نحو الباب.

«الى اين انت ذاهبة؟» سألها جيروم فجأة.

«سأخرج قليلاً».

«تحت الثلج، اذا قمت بأية حماقات فأنا لن ادفع عنك في عربة الركاب المتجهة الى لندن».

«سأنزل واشرب شيئاً ساخناً».

«حسناً، اخبري الخادمة ان توقظني في الساعة الثامنة».

خرجت فانيسا واغلقت الباب وراءها، ولم تهتم بهذه الرسالة فلينم حتى الظهر، اما هي فتناولت فطورها واخذت حصانها واتجهت نحو لندن.

استيقظ جيروم وسمع ضجيجاً قوياً فأدرك انه نام كثيراً، فنهض وهو غاضب يلعن البانش ويشعر بالصداع، الم

يطلب من هذه الصغيرة ان تطلب من الخادمة ايقاظه؟ لا بد انها نسيت، فلتذهب كل النساء الى الجحيم، واخذ يفكر بما قاله لفيولا، يبدو انها ابنة عائلة مهمة، وسيلاحقونه اذا علموا انه استغل الموقف، وسيكون من الصعب ان يقنعهم ان جيروم هاركورت لم يحاول اغراء فتاة شاركته الفراش ليلة كاملة، ونزل غاضباً، وقرر ان يلقن فيولا درساً قاسياً لانها تركته ينام حتى هذه الساعة.



## - ٥ -

احضرت له صاحبة الفندق القهوة وسألها عن ابن عمه.

«لست ادري الى اين ذهب، قد يكون يتنزه في الخارج، فالثلج توقف من ساعة تقريباً».

«يتنزه؟ اين يمكنه ان يذهب؟» وظهر الخوف والقلق على وجهه، هل هي غاضبة من كلامه الجارح؟ كان يريد حمايتها كي لا تقع في حبه، لكنه لم يكن يريدها ان تهرب في مثل هذا الطقس.

«آه، عفواً لقد تذكرت لقد ترك لك رسالة».

فتح جيروم الرسالة وانقبض قلبه.

«لقد رحلت لا تتبعني».

«ولكن كيف رحل؟».

ثم اتجه الى الزريبة، ووجد ان حصانه موجوداً، فسأل



www.elromancia.com

حارس الاسطبل.

«هل عاد؟».

«عاد انه لم يعد لقد ترك الفندق منذ الصباح الباكر».

«ولكن كيف فهو لا يملك نقوداً...؟».

«آه، اذن انت لا تعلم» قال له حارس الاسطبل.

«لقد وجد المزارع ستون حصاناً قرب منزله، فجاء به هذا الصباح الى هنا ليسأل عن صاحبه، وتعرف ابن عمك فوراً على حصانه، وكنت انا قد لاحظت انكما جئتما بالامس على حصان واحد».

فعقد جيروم حاجبيه، ماذا تفعل هي الآن؟ هل توجهت الى لندن بمثل هذا الطقس الرديء؟ فقد تعود العاصفة من جديد، وفكر قليلاً، ثم دفع حساب الفندق وشرب قهوته قبل ان تبرد، ولم يتناول اية لقمة من طعامه، وعاد الى الاسطبل وكان الصبي قد اسرج له جواده.

«ارأيت اي اتجاه سلك؟».

«لقد سلك اتجاه الطريق العام».

بهذا الوقت، كانت فانيسا على ظهر جوادها، وسعيدة جداً لانها وجدت حقيبتها واموالها سالمة، ولم تكن قلقة لان جيروم لا يزال نائماً، وفكرت انه قد يكون سعيداً لانه تخلص منها، وقررت ان تبدل ملابسها في مكتب بريد البلدة، وتترك بادن هناك وتركب عربة المسافرين، ورأت ان تكتب رسالة لعمتها نانسي كي تأتي لاعادة الحصان بادن.

وصلت فانيسا الى بلدة برونويل، وعهدت بالحصان الى



صبي الاسطبل، ودخلت الى الفندق، وكانت تشعر بالبرد القارس، ثم جلست امام النار، وتساءلت وهي تشرب القهوة اذا كان يجب عليها ان تحجز غرفة، وفجأة سمعت ضجيجاً مع وصول مسافرين جدد، ودخلت فتاة انيقة وصرخت الى مرافقها.

«انقولها الى السرير فوراً، واطلبوا لها طبيباً، لم يعد بامكان سماع آلمها وشكواها» نهضت فانيسا وصرخت.

«ماثي، يا الهي ماذا تفعلين هنا؟».

التفتت الفتاة واخذت تتأمل فانيسا بدهشة، وتنظر الى ملابسها والى حذائها المليء بالوحل.

«فانيسا؟ هل هذه انت حقاً؟ ولكن لماذا هذا التنكر؟ اذا رأك والدي لن يصدق رغم رأيه الجيد بك».

«آه ماثي يا لها من صدفة، لقد هربت من عمتي نانسي، وأنا متجهة الى لندن، لكن عاصفة ثلجية اخرتني، وانت؟».

«هربت؟ يا الهي وانا ايضاً تعرضت لمشاكل، لقد انقلبت عربتي، ووقعت مربيتي، مارسي، ولم يسبق لي ان رأيت انساناً مثلها يكثر في الشكوى ومن الانين، انا ذاهبة ايضاً الى لندن، ولا اريد ان اتأخر في هذا الفندق».

«الى لندن؟ آه، ماثي، ايمكنني مرافقتك؟ فأني ذاهبة الى معمدتي في شارع جورج».

«ليس قبل ان تروي لي كل قصتك، كيف هربت، ولماذا هذا التنكر؟ وانا سأكون سعيدة برفقتك لكننا قد نتأخر ريثما يتم اصلاح العربة، وريثما تتحسن صحة



www.elromancia.com

مارسي، بامكاني ان استأجر عربة، ولكن كيف سأقنع مارسي؟».

«لا تقلقي، سأفعل ذلك بنفسي، سأغير ملابس، وعندما تتعرف علي لن تمانع في ان نستأجر عربة».

«اولاً، اريد سماع قصتك» ثم طلبت فنجانين من الشوكولا، وروت فانيسا لها كل القصة، الا انها لم تلمح الى جيروم واكتفت بان اخبرتها بانها تناولت العشاء مع احد المسافرين، وكانت ماثي صديقتها المفضلة عندما كانتا معاً منذ عامين في المدرسة الداخلية.

«نعم انا افهمك جيداً، لديك اسباب مهمة للهرب... ولكن ما حصل قد حصل، وسنسافر معاً، لاني متأكدة من ان مارسي تفضل البقاء في السرير لعدة ايام فهي لن تتحمل السفر مع هذا الرشح القوي الذي اصابها».

«ولكن كيف سأبدل ملابسي؟».

«اذهبي الى الاسطبل، وبدلي ملابسك وانتظريني».

«الطقس بارد جداً في الخارج، لا تتأخري والا سأصاب بالرشح».

بعد قليل خرجت فانيسا، وبدلت ملابسها وفجأة دخلت خادمة الى الاسطبل، وقالت لفانيسا.

«الانسة ماثي تدعوك لشرب الشاي معها، وهي بانتظارك».

ضحكت فانيسا كثيراً لهذه الخدعة التي قامت بها صديقتها.

«برافو، فانيسا، لقد عدت آنسة محترمة، تعالي وسرحي



شعرك».

وبعد لحظات اختفى اوليفر وعادت فانيسا باسكومب.

«هيا لنودع مارسي، ثم نستأجر عربة جديدة».

«ولكن الطقس بدأ يتغير ومن المستحيل ان نتابع السفر في هذا اليوم».

مر جيروم على مكتب البريد، فلم يجد اي اثر لاوليفر ولا للحصان الرمادي، فتابع طريقه وهو قلق على هذه الفتاة الغبية، واخذ يتصورها قد وقعت في قبضة اللصوص او تاهت في العاصفة بدون مال وبدون طعام...

ومع غياب الشمس وصل الى الفندق الذي تنزل فيه فانيسا وكان غضبه قد ازداد حدة، وما ان دخل الى الاسطبل حتى رأى حصانها وادرك ان ابحاثه قد انتهت، فأسرع الى داخل الفندق ودفع الباب ودخل، فرأى فتاة ترتدي ثوباً اخضر تجلس امام النار، وشعرها الاحمر مسترسل على كتفيها، وما ان رأته فانيسا حتى شحب لونها.

«آه، واخيراً وجدتك، اهكذا تهربين ولا تتركي لي سوى رسالة موجزة، وتتركيني في خوف كبير عليك؟ اريد ان القنك درساً قاسياً ولماذا بدلت ملابسك؟ كيف سيمكنني ان اضعك في عربة المسافرين دون ان يلاحظك احد؟ من معك هنا؟ رجل؟ هل اهانك احد؟ اذا فعل احدهم، فأنني سأقتله بيدي هاتين» واخذ يهزها بعنف.

«جيروم لا، انا لست بخطر هنا، انا برفقة صديقتي، دعني قبل ان ينتبه لنا احد».

للحظة من الجنون، رغب جيروم بأن يضمها بين ذراعيه ويقبلها، لكنه تركها ودفعها عنه.

«جيروم؟ كيف تجرؤ؟ هل انت مجنون؟ لا يحق لك معاملتي هكذا، بامكانك متابعة سفرك فوراً، لانني متأكدة انك لن تجد غرفة لك هنا».

«اريد اصطحابك معي».

«لن اذهب معك» قالت له وابتسمت بمكر ثم جلست من جديد «سأبقى هنا مع ماثي».

«ماثي، حسناً، فيولا، انا آسف لتصرفي معك مساء امس، كنت قد شربت كثيراً، ولكنني مسؤول عنك واريد ان اوصلك بنفسي الى لندن سالمة معافاة، ولا اريد ان تتلطخ سمعتك، هيا، اجمعي اغراضك بتعقل وتعالي معي...».

«لا يمكننا السفر قبل ان يتحسن الطقس، كما وان صديقتي وعدتني بمرافقتي الى العاصمة، اذن بامكانك ان تهدأ، واذا كنت ترغب بقضاء الليلة هنا، فسأعرفك عليها في الصباح».



## - ٦ -

احس جيروم بخيبة كبيرة عندما صدق اخيراً بوجود ماثي، لكنه لم يكن يرغب بترك فانيسا برفقة فتاة صغيرة اخرى.

«حسناً، سأقضي الليلة هنا، ولكني جاد في اصطحابك معي، فيولا، صباح الغد، فأنا مستعجل للوصول الى اقاربي الذي ينتظرونني و...».

«آه يا الهي، ان اسمي ليس فيولا بل فانيسا، وانا مضطرة الآن للاعتراف لك بحقيقة اسمي كي لا تخدعني ماثي دون قصد منها».

«فانيسا» ثم خلع معطفه وجلس بقربها «والآن انا متعب جداً، اروي لي كيف التقيت بهذه الآنسة».

«كنا معاً في المدرسة الداخلية، والتقيت بها هنا، لان



www.elromancia.com

مربيتها اصيبت بجروح عندما انقلبت عربتها» واخذت تضحك «قد يدهشك موقف الآنسة راندولف ازاء خادمتها، لكنني اتساءل هل كانت ستعاملها بهذا الكرم لو لم يمنعنا الثلج من متابعة السفر؟».

«آه، خادمة مصابة؟ ثم الآنسة راندولف... راندولف؟».

«نعم، ماثي، هي ماتيلدا راندولف، لماذا؟ لا تقل لي انك تعرفها جيروم».

«اعتقد انها تلك الفتاة التي ستقيم في هانوفر سكوير عند عمي السير توماس ريمنغتون، اذا كانت حقاً هي، يا لها من مصادفة، ولكن لماذا نهضت؟ اتريدين النوم الآن؟».

«اذا لم يكن يوجد غرفة لك، يا عزيزي جيروم، فأقل ما يمكنني ان افعله من اجلك ان اطلب من صاحبة الفندق ان تعطيك غرفتي، وسأنام انا مع مارسي، فقد تحتاج لشيء في الليل، تصبح على خير سيد».

«تصبحين على خير، هل سأراك اثناء تناول الفطور؟».

«هذا ممكن...» وقبل ان تبتعد ناداها جيروم وسألها.

«هل الآنسة راندولف اكبر منك سناً؟».

«انها في الثامنة عشرة، ولكن بفضل تربيتها وظروفها تبدو اكثر قدرة مني على الدفاع عن نفسها، ولن تخف منك».

في الصباح تفاجأت ماتيلدا كثيراً عندما اخبرتها فانيسا ان جيروم وصل الى الفندق ليلة امس، واخبرتها بأنها



ستعرفها به اثناء تناول الفطور، واسرعت ماثي وجلست امام المرآة، وسرحت شعرها بحماس كبير.

«وكيف هو شكله، وكيف تعرفت عليه؟».

«انه جميل وجذاب، اعتقد انني اخبرتك انني التقيت بمسافر لطيف، ولقد تبعني الى هنا، وكان قلقاً علي، بالمناسبة انه يعتبرني فانيسا نوريس، واتمنى ان لا تخبريه بأسم عائلتي».

«ولكن لماذا لا تريدينه ان يعرف؟ آه فانيسا لا تقولي لي بانه يبحث عن ميراث فتاة عازبة غنية، ان والدي يخاف كثيراً من هؤلاء الاشخاص».

«لا، لا، انه رجل محترم جداً، انه ابن اخ السير توماس وانا لا اريده ان يرسل الى عمتي نانسي ويخبرها بمكان وجودي قبل وصولي الى السيدة هاريس، هذا كل ما في الامر».

اخذت الصديقتان تتذكران بعض الحوادث التي وقعت لهما في المدرسة، ثم نزلتا وهما تضحكان الى الصالة السفلى، وكان جيروم بانتظارهما، وما ان رأها حتى نهض وانحنى بلطف، وابتسم لماتيلدا، فعرفتهما على بعض.

«لقد اخرتني الآنسة نوريس مساء امس، انك ذاهبة لزيارة السير توماس ريمنغتون واظن ان لقاءنا هنا سيسمح لنا بالتعرف اكثر خلال هذه الايام».

«لماذا؟» سألته فانيسا بقلق «كنت اعتقد انك مستعجل للسفر باسرع وقت ممكن».

«طبعاً» اجابها مبتسماً «ولكن طالما ان الطقس يحول

دون متابعة السفر، فأنا سعيد برفقة آنستين جميلتين».

كان كلامه موجهاً الى الآنستين، لكن نظراته موجه نحو ماتيلد فقط، انقبض قلب فانيسا، وتساءلت لماذا يتصرف هكذا؟ بدون شك لان ماتيلدا اجمل، ولكن لا يمكنه ان يتعلق بها بهذه السرعة، ومع ذلك كانت ماثي كالفراشة التي تحوم حول الضوء، وتحاول لفت نظر جيروم اليها، وكانت تتكلم كثيراً، وتضحك كثيراً، وترميه بنظرات الدلال.

وفي المساء لعب الثلاثة الورق، وكانت فانيسا معجبة بهذه اللعبة، لكن ماتيلدا كانت تشعر بملل كبير، وبعد هذا النهار الطويل صعدت الفتاتان الى غرفتهما، وتركتا جيروم يقرأ كتاباً قرب النار.

«كيف الطقس اليوم آنسة؟».

سألتها مارسي التي كانت تجلس في السرير وفي يدها فنجان الحليب.

«لقد توقفت العاصفة، ولكن الطبيب لن يسمح لك بمغادرة السرير» اجابتها فانيسا، وكانت قد بدلت ملابسها، وسرحت شعرها «الآنسة ماتيلدا تريد متابعة السفر».

«هذا ما اعتقده، لكنها ستهتم بي، والا فان والدها سيغضب كثيراً».

«طبعاً، ستهتم بك، فهي ليست فتاة شريرة».

«نعم، ولكنها معتوهة، وانانية، ووالدها رجل طيب ويخضع كثيراً لها».

«نعم، طالما ان الطقس جيد، سأقوم بنزهة قصيرة حول



الفندق، اتريدين شيئاً؟».

«حاولي ان تجدي لي كتاباً اتسلى به وانا في سريري».

«حسناً، لن انسى ذلك، مارسي».

«شيئاً كقصة قصر او ترانت، مثلاً».

وجدت فانيسا صديقتها تشرب الشوكولا في صالة الفندق وتفاجأت عندما علمت ان ماتيلدا لم تقرأ كتاباً منذ خروجها من المدرسة منذ عامين.

«القراءة مضيعة للوقت، وستصابين بالدهشة عندما تعلمين انني اتناول فطوري عادة في سريري» اجابتها ماتيلدا.

«هذا لانه لديك خادمة تهتم بك، لكن هنا، لقد علمت منذ قليل ان الطباخ لم يأت من القرية بعد».

«انني اتساءل متى سينزل جيروم من غرفته؟».

«ماتيلدا، يجب ان تناديه بالسيد هاركورت».

كانت ماتيلدا ترتدي اليوم ثوباً ازرق وتبدو رائعة، فنظرت بمكر الى صديقتها واجابت.

«لماذا؟ فأنت نفسك ناديتيه بأسمه مرتين مساء امس».

«آه نعم... لانني عندما تعرفت عليه كنت ارتدي ملابس رجل، فكان من الطبيعي ان اناديه جيروم، ولقد توسل الي كي اناديه بأسمه فقط».

«اذا اردت ان تعرفي فأنا رجوته ان يناديني بأسمي فقط، فنحن قريبان تقريباً عمه ومعمدتي...».

«اما انا فأفضل ان يناديني فانيسا بدل الآنسة نوريس ارجوك ماتيلدا، لا تخبريه بأسم عائلتي، لقد بدأت اندم

لانني لم اخبره الحقيقة منذ البداية».

بهذا الوقت دخل جيروم وهو يرتجف واسرع ومد يديه الى النار.

«صباح الخير ايتها الأنسات، لقد نهضت منذ ساعات، واهتممت بالجياد، الطقس بارد جداً في الخارج، وعندما سيذوب الثلج ستكون الطريق موحلة جداً، وسيصعب على اية عربة العبور بسهولة».

«ما رأيك ماتيلدا؟» سألتها فانيسا «كنت اعتقد انك ستستأجرين عربة؟».



## - ٧ -

«اذا قرر السيد هاركورت ان يستقل عربة المسافرين فبامكاننا ان نفعل مثله، وهكذا لن يكون السفر مملاً».

«لا، ابداً، انا اصر على استئجار عربة، وسأوصلكما الى هانفور سكوير» قال جيروم.

«اما انا فالى شارع جورج» قالت فانيسا بانزعاج.

«بامكاننا ان نلتقي في لندن، دون ان نضطر للازدحام في العربة، واذا ذاب الثلج حقاً، بامكانك متابعة السفر على ظهر جوادك، سيد هاركورت».

نظر اليها جيروم بسخرية وقال.

«واتركككما وحدكما؟ اتعتقدين انني افعل ذلك، آنسة نوريس؟ لا، لا ستكونان بأمان معي، سأهتم بحقائبكما وبراحتكما وبحراستكما في الليل، اعدكما بذلك».



www.elromancia.com

«طبعاً، لا تكوني سخيفة، فانيسا، هل تناولت فطورك، جيروم؟ اتعتقد ان الطقس لن يسمح لنا بالرحيل اليوم؟ اذن يمكننا قضاء الوقت بلعب الورق، او بالاحجية والحزازير».

«بامكانكما ذلك، اما انا فاريد التنزه قليلاً» قالت فانيسا.

«لماذا تريدين الخروج فانيسا؟ اهناك شيء استطيعه من اجلك؟» سألها جيروم بقلق.

«نعم، اريد شراء كتاب لمارسي، ألديك كتاب في حقيبتك؟».

«لا، ولكن يمكنني...» ثم تردد قليلاً ونظر الى فانيسا نظرة غريبة واضاف.

«بما انك ترغبين بالخروج، فأذهبي الى قصر البلدية او الى بيت الكاهن، وبدون شك ستكون زوجة الكاهن مسرورة باعارتك بعض الكتب».

«نعم، هذه فكرة ممتازة، الا تريدين مرافقتي، ماتيلدا؟ فنزهة قصيرة لن تضرنا».

«لا سأنتظر ذوبان الثلج كما وانه من الافضل ان تبقى واحدة منا الى جانب مارسي».

فأسرعت فانيسا الى الغرفة التي تنام فيها مع مارسي، وانتعلت بوطها الذي كانت قد استعارته من ابن عمتها شارلي، وارتدت معطفها وربطت فولاراً على شعرها، وفجأة اشرقت الشمس، فسارت فانيسا تارة على الثلوج وتارة على الرصيف، وكانت احياناً تنحني وتحمل كرة من الثلج وترمي بها بعيداً.



والتقت برجل مسن يقف امام باب منزله، فحيته وسألته عن منزل الكاهن واخبرته بانها تريد ان تستعير من زوجته بعض الكتب لمربية صديقتها المريضة.

«ان كاهننا ارملاً، والافضل ان تقصدي القصر، فالسيدة فورتسكي تهوى القراءة، وعندما ستعلم بمرض المربية، سترسل لها سلة من الحلوى، فهي سيدة طيبة جداً».

«وكيف اصل الى القصر؟».

«اتجهي نحو اليسار ثم تابعي سيرك الى ان تجدي باباً كبيراً».

«اهذا اقصر طريق اليه؟».

«لا، الطريق الاقصر هو بعبور هذا الحقل ثم تجدين نفسك في حديقة القصر، ولكن قد تبللين نفسك».

«شكراً سأمر من هنا».

استخفت فانيسا بتحذيرات الرجل العجوزر، ولكنها ما ان بدأت برؤية القصر، حتى غرزت في الثلج حتى ركبتيها، وتبلل ثوبها بالماء، وتساءلت عندما اقتربت من القصر، ايجب ان تطرق على الباب الرئيسي ام الافضل ان تطرق على باب المطبخ.

«ماذا استطيع ان افعل من اجلك، ايتها الآنسة الجميلة؟ ادخلي، تفضلي».

رفعت فانيسا رأسها، فرأت شاباً يبتسم لها امام الباب فاتجهت نحوه بسرعة.

«انا آسفة لانني جئت بهذه الطريقة، ولكن لم يكن يجب عليك ان تخرج وتدع الهواء البارد يدخل الى

مكتبتك».

«لا، ابداً، ادخلي اذن».

ثم امسك يدها، وادخلها ثم اغلق الباب وراءها، وكانت النار مشتعلة في الموقد.

«يجب ان نتعرف، طالما ان ظهورك المفاجيء وفر علينا البروتوكول، انا جون فورتسكي، وانت؟».

«فانيسا، ايه... فانيسا نوريس... لقد جئت بخصوص كتاب... هل والدتك السيدة فورتسكي هنا؟ انا وصديقتي ننزل في فندق البلدة، ولقد كسرت خادمة صديقتي رجلها عندما انقلبت عربتهما، وهي تشعر بالملل في سريرها، فتوسلت الي كي اجد لها شيئاً تقرأه، وفكرت بالذهاب الى الكاهن، لكن رجلاً عجوزاً في الطريق نصحني بزيارة والدتك واخبرني انها تهوى القراءة، وانا اتمنى ان تكون السيدة فورتسكي مستعدة...».

«لاعارتك بعض الكتب؟ ستكون سعيدة بذلك، ولكنني انا احل مكانها لانها ليست موجودة حالياً، واتمنى ان نجد معاً كتاباً يسلي خادمتك» ثم رن على جرس امامه واضاف «اتريدين شرب شيء بعد هذا السير المتعب؟ كأس من النبيذ مع بعض البسكويت؟ اثناء غياب والدتي يكون هذا المنزل كمنزل شاب عازب، ولكننا لسنا متوحشين».

ظهر الخادم وتفاجأ كثيراً برؤية فانيسا مع سيده.

«آه، هيغ، هذه الآنسة نوريس، جاءت لتزورنا، ولكي تستعير بعض الكتب، احضر لنا البورتو والبسكويت، لو



سمحت».

«حسناً، والآن آنسة نوريس، فلنرى ماذا يمكننا ان نجد لك».

واخذ يتفحصا الرفوف، الى ان صرخت فانيسا بدهشة وفرح.

«آه، هذا قصر اوترانت، انه يلاقي نجاحاً ولقد طلبته مارسي مني، ولكن ما هو كتاب باميلا؟ يبدو لي انه قد يعجب مارسي كثيراً».

«طبعاً وهذا كتاب سمولت، سيساعدها على قضاء الوقت، وهذا آخر لجوناثان سويفت». ثم نظر الشاب اليها وهي تحمل كل هذه الكتب.

«اوه، آنسة نوريس لا يمكنني تركك تعودين الى الفندق وانت تحملين كل هذه الكتب، ولا يمكنني مرافقتك لانني انتظر صديقاً على الغداء، ولكن بامكاني ان اوصلك بعربتي بكل سرور».

«افضل السير، شكراً لك، فأنا لا ارغب بالعودة بسرعة الى الفندق، لانني امل فيه كثيراً بانتظار متابعة رحلتنا، ولكن اذا سمحت بامكاني ان آتي غداً لاحضار بقية الكتب، وسأكتفي الآن بالكتاب الاول».

«فكرة ممتازة، وقد ازورك بعد ظهر اليوم، ما رأيك؟ وقد تفكران انت وصديقتك بقبول دعوتي للعشاء، بامكاني ان اؤكد لك انه يسرني كثيراً استضافة آنستين جميلتين».

«حسناً، لست ادري... ولكن...».

«اتعتقدين ان ثلاثي لن يكون شيئاً لطيفاً؟ لا تقلقي،

سأحضر معي صديقي كولنز ابن الكاهن الاكبر، وسيكون سعيداً بالتعرف عليك وعلى صديقتك».

«لا... ولكن صديقتي الآنسة راندولف هي برفقة احد... اقربائها... اقصد ابن عمها... السيدجيروم هاركورت الذي سيرافقنا الى لندن...».

«عظيم، اذن سأحضر بعض الظهر ومعي بقية الكتب».

ثم شكرته واكدت له انها والآنسة راندولف سينتظرانه بغاية السرور.



## - ٨ -

وما ان خرجت من القصر، حتى تنهدت، هذا الشاب لطيف جداً، وطيب ايضاً، وفكرت بانه اذا ظل الطقس سيئاً فليست الخادمة مارسي هي فقط التي ستكون بحاجة للتسلية.

تابعت فانيسا سيرها وهي ترفع ثوبها عن الارض وبدأت تفكر بالجلوس قرب النار، وبشرب شاي ساخن، وفجأة سمعت انيناً، فتلفتت حولها بخوف كبير، عاد الانين من جديد، فجمعت شجاعتها واقتربت باتجاه الصوت، فوجدت كلباً صغيراً ينام على الارض وقد علقت رجله في فخ حديدي، فانحنت فوقه، وكانت تحب الحيوانات كثيراً، فنظر اليها الكلب بعيون حزينة متوسلة واخذ يئن من شدة الالم.



www.elromancia.com

«ما هذا؟ هل انت تشتمني؟ انا حاول انقاذك» ثم وضعت الكتاب جانباً وفتحت الفخ واخرجت رجل الكلب منه.

«انتظر سأرى ما يمكنني فعله من اجلك».

وجدت ليزا جرحاً في احدى قوائمه، وكان الكلب متسخاً ومبللاً.

«ستكون جميلاً بعد ان تستحم وتأكل، وتضمد جروحك» ثم حملت الكتاب والكلب وتابعت سيرها، ولاحظت ان ثوبها اصبح متسخاً ومبللاً ايضاً، فأخذ الكلب يلحس يدها.

«ايها الغبي، انا بحاجة لحمام وليس الى لسانك، سآخذك معي الى الفندق، ولكن يجب ان لا يراك احد».

وحاولت فانيسا ان تنفذ كلامها، فأقتربت من الفندق بهدوء ووقفت امام نافذة المطبخ، وكانت دهشتها كبيرة عندما رأت ماتيلدا في المطبخ تضع طنجرة صغيرة على النار، وفجأة ظهر جيروم واقترب منها بعد ان اغلق الباب وراءه.

وقال جملة، فالتفتت ماتيلدا نحوه وضحكت وهددته بالملعقة الخشبية، لكن جيروم اقترب منها اكثر وضمها اليه، فأدركت فانيسا ماذا سيحصل بينهما، ورغبت في الهرب، لكنها ظلت مسمرة مكانها، تنظر الى جيروم وهو يحدق طويلاً في عيون ماتيلدا ثم ينحني وتلتقي شفاههما.

تحت ذراع فانيسا اخذ الكلب يئن من الالم، فاعتذرت منه، وحاولت ان تنسى الصدمة والالم بعد ذلك المشهد،



ثم دفعت باب الخدم وصعدت السلم وقد تملكها غضب كبير، فهي لم تعرف من قبل اية تجربة من هذا النوع، لكنها كانت تعلم ان الرجل الشريف لا يقبل اليوم فتاة ثم يقبل فتاة اخرى في اليوم التالي، لقد تلاعب بها، وهو اليوم يتسلى بماتيلدا».

«مارسي، لقد احضرت لك زائراً».

«فانيسا، ماذا لديك؟ ما هذا الوسخ على ثوبك؟... اوه المسكين تعالى يا صغيري، مارسي تريد ان تتفحصك».

«انه كلب وقع في الفخ، انا متأكدة انه غير مصاب بجروح، ولكنه بحاجة لمعالجة جروحه، كما وانه بحاجة لبعض المحبة وللطعام...».

«الافضل ان تأخذيه الى الاسطبل فلديهم هناك مراهم خاصة، ولكن اين كنت انت؟».

«اسمعي، انا لا اجرؤ على النزول هكذا، سأتركه هنا قليلاً، ريثما اغير ملابسي، وبعد ذلك سأنظفه واعالجه».

«اذاً، اطلبي من الخادمة احضار الماء الساخن».

«لا، سأغتسل بالماء البارد، فأصحاب الفنادق يمنعون اصطحاب الحيوانات الى الغرف، وانا اعترف ان هذا الحيوان متسخ جداً».

اخذت مارسي تتأمل الفتاة بعد ان خلعت ملابسها واغتسلت وسرحت شعرها.

«اليس لديك ثوب آخر؟» سألتها عندما رأتها تحاول تنظيف ثوبها الاخضر بالفرشاة، «بامكان ماثي ان تعيرك

احد اثوابها» وبهذا الوقت دخلت ماثي وهي تحمل صينية بيدها.

«هيا، مارسي، يجب ان تأكلي هذه الشوربة، لقد اعددتها مع... اوه، فانيسا ماذا تفعلين هنا نصف عارية؟».

«لقد بللت ملابسي... وكنا نفكر...».

«هذا الثوب ليس مبللاً فقط، انه متسخ ايضاً، سأعيرك احد اثوابي، هيا، قبل ان تصابي بالبرد».

«انت لطيفة ماثي» قالت لها فانيسا بصوت مرتجف «حسناً، سأرتدي واحداً من اثوابك ريثما يجف ثوبي هذا». ولاحظت بريق عيون صديقتها وتذكرت سبب هذا المرح.

«آه، ما هذا؟» صرخت ماتيلدا عندما رأت الكلب الابيض.

«يا له من كلب مسكين، ما اسمه؟» ثم انحنت لكي تداعبه لكن الكلب خاف منها.

«سأحمله الى الاسطبل حيث انظفه واداوي جرحه» قالت لها فانيسا مبتسمة.

«سأرافقك» قالت لها ماتيلدا «بامكاننا ان نطلب مساعدة جيروم».

«لا، شكراً، ماثي، انه تحت حمايتي، ولا اريد ازعاج السيد هاركورت» اجابتها فانيسا بجفاف.

«ماذا؟ لقد اصبح السيد هاركورت الآن؟ ماذا اصابك؟ لقد كنتما صديقين مساء امس».



«آه، هل ابدو غاضبة؟ لم اكن اقصد، ولكني لا يمكنني ان اطلب من جيروم الاهتمام بهذا الكلب» وفجأة توقفت وضربت على جبينها.

«لقد نسيت مارسي، ذهبت الى القصر ووجدت الكتاب الذي طلبتيه مني، انه على الكرسي، وسيد القصر، السيد فورتسكي سيزورنا بعد الظهر وسيحضر لك بقية الكتب، لانني لم استطع حملها كلها».

وبعد ان ارتدت فانيسا ثوباً آخر، نزلت الفتاتان الى الاسطبل، ووافق الصبي على الاهتمام بالكلب، واخذت الفتاتان تراقبانه وهو يغسل الكلب بالماء والصابون.

«لا تتحرك كن عاقلاً» امرته فانيسا بحنان وهو يرتجف، وكانوا الثلاثة ينشفونه عندما دخل جيروم.

«يا له من منظر رائع، اين وجدتم هذا الروكي؟».

«هذا ليس...» اعترضت فانيسا، لكن ماتيلدا قاطعتها بسرور.

«بروك، هذا اسم يناسبه كثيراً، فانيسا، وروكي سيكون اسمه المختصر».

«نعم، بروك، لا بأس به، انظري كم اصبح جميلاً الآن». اقترب جيروم وتفحص جرح الكلب.

«لقد وقع في احد الافخاخ اليس كذلك؟» ثم التفت الى صبي الاسطبل وسأله عما لديه من مراهم، واخذ يعالج جرح الكلب بنفسه، ثم اقترح على الفتاتين ان تعودا الى الفندق لانه حان موعد الغداء.

«يجب ان اهتم اولاً باطعام بروك» قالت فانيسا «اسبقاني

انتما وسألحق بكما بعد ان اصطحب بروك الى المطبخ».

لاحظ جيروم انها تتجنب النظر اليه مباشرة، فتردد لحظة ثم امسك ذراع ماتيلدا ودخلا الى الفندق، وكان متأكداً ان غضب فانيسا مهما كان سببه فانه لن يطول، فهي لن تتكهن ابداً انه يحاول اغراء ماتيلدا بكل الوسائل، فهذه فرصته المناسبة ولا يجب عليه ان يفوتها، لانه لن يجد وريثة غنية مثل ماتيلدا، لكنه رغم ذلك لا ينوي ايلام فانيسا ابداً.



## - ٩ -

وكان كلما ازعجه حديثه مع ماتيلدا او كلما شعر بالنفور منها او من غيرها من النساء اللواتي كان يحاول القبض على ثرواتهن، يتذكر قصره ومزرعته المهجورة، ان الواجب يحتم عليه ان يعقد زواجاً جيداً، ينقذه وينقذ املاكه.

وكان يعلم ان فانيسا معجبة به، مع انها تقاوم عواطفها بشدة، كما وانه يعلم بأن شخصيته القوية وتجاربه الكثيرة تدهش ماتيلدا.

والقبلة في المطبخ كانت كردة فعل طبيعية لوجود رجل وحيداً مع فتاة جميلة، وغياب فانيسا شجع على ذلك، وكان قد رسم خطة لاقناع ماتيلدا حتى ولو اضطر الى الهرب معها، وهكذا ستقبل بالزواج منه، ويخضع والدها للامر الواقع، ولكنه لن يتمكن من فعل هذا امام عيون



www.elromancia.com

فانيسا الخضراء الحزينة.

«يا لها من طفلة لعينة» فكر جيروم وهو يدخل برفقة ماتيلدا لماذا يجب ان تدخل حياته وتربك وجوده؟ انها جميلة وحنونة... لكنها آخر فتاة يفكر بالزواج منها.

بعد ان اطعمت فانيسا الكلب، اتفقت مع صبي الاسطبل على ان يتركه ينام في الاسطبل وان ينتبه عليه، وعندما عادت الى صالة الفندق، وجدت ماتيلدا وحدها ويبدو عليها الانزعاج.

«اين كنت؟ لقد انتظرناك وانتظرناك، وعندما تأخرت تناولنا الغداء بدونك».

«لا بأس، انا لست جائعة، لقد تركت بروك في الاسطبل، سأصعد لكي اطمئن على مارسي».

«لن يمكنك ذلك، لان الطبيب، عندها الآن».

«ما بك مائي؟ تبدين لست على ما يرام، مع انك كنت سعيدة ونحن ننظف الكلب الصغير».

«انه جيروم، لقد طلب مني ان نقوم بنزهة بعد الظهر، هو على متن جواده وانا على متن جوادك بادن، لكنني تذكرت زيارة السيد فورتسكي الذي يريد دعوتنا للعشاء، واخبرت جيروم بانه لا يمكنني تركك وحدك، فغضب كثيراً وخرج.

«هذا طبيعي، يجب ان تكوني مسرورة، يبدو انه يفضل التنزه معك على الثرثرة مع السيد فورتسكي».

«هذا ممكن» اجابتها ماتيلدا وابتسمت «ولكن لم يكن يجب عليه ان يتركني بهذه الطريقة».



ابتسمت فانيسا، وفكرت بأن تدخل صاحب القصر منع جيروم من الخروج مع ماتيلدا، ولكن لماذا هو غاضب لهذه الدرجة، وبعد قليل نزل الطبيب واعلن ان الخادمة مارسي بصحة جيدة، لكنها مضطرة لملازمة الفراش لمدة اسبوعين على الاقل.

«اذن، انا سأتدبر امرها مع صاحب الفندق» قالت ماتيلدا للطبيب «ولك عندما تشفى مارسي، ايمكنك ان تضعها في عربة المسافرين المتجهة الى لندن؟».

وافق الطبيب ثم انحنى وترك الفتاتين وحدهما.

«انني اتساءل ماذا يفعل الفقراء اذا كسرت رجل احدهم في طريق السفر، وكيف سيدفعون تكاليف الاقامة في الفندق؟».

«لست ادري» اجابتها ماتيلدا، «هذا لا يهمني» ثم وقفت ماتيلدا امام النافذة وفجأة التفتت نحو فانيسا.

«فانيسا ان شاباً جميلاً يدخل الآن الى باحة الفندق، ترى من يكون؟».

«هل هو طويل واشقر الشعر؟».

«نعم، لا تقولي لي انه...».

«بلى، انه سيد القصر» اجابتها فانيسا ضاحكة «لقد نسيت ان اخبرك انه شاب عازب هيا بنا نستقبله امام الباب».

«لا، الافضل ان نبقى هنا وستدله صاحبة الفندق على مكاننا» ولكن دهشتهما كانت كبيرة عندما دخل الشاب برفقة جيروم، وكان الشابان جميلين وانيقين.

طلب جيروم النبيذ ثم اجاب على دعوة السيد فورتسكي من اجل العشاء، بانه يترك الخيار لرفيقتي سفره، وقال بانه سيمكنهم متابعة السفر في الصباح الباكر، على امل ان ترفض الفتاتان السهرة لهذه الليلة.

«بامكاننا تناول العشاء عند السيد فورتسكي ثم نعود بوقت مبكر» اقترحت فانيسا «ما رأيك ماتيلدا؟» وتجاهلت فانيسا نظرات جيروم.

«فكرة رائعة، سنقبل هذه الدعوة بكل سرور» اجابتها ماثي بحماس.

«حسناً ستنتظركم عربتي وستعيدكم ساعة تشاؤون الى القاء الآن» قال سيد القصر بلطف وخرج.

«هكذا سنمضي سهرة لطيفة» قالت فانيسا بمكر بعد خروجه.

«سأذهب لاتفقد بروك» وابتسمت لجيروم الذي رمقها بنظرة قاسية.

وتساءلت وهي في طريقها الى الاسطبل اية لعبة يلعب جيروم؟ لماذا يعارض هذه السهرة البريئة في القصر برفقة شاب لطيف ومهذب؟.

وبعد خمسة دقائق لحقها جيروم الى الاسطبل.

«هل انت مسرورة من نفسك؟».

«لماذا؟» سألته بدهشة.

«يبدو انك تحاولين ابعاد ماتيلدا عني، وانت تعلمين انها معجبة بي، ولا تريدين ان تقع في غرامي، ولكني لا افهم ماذا فعلت لك كي استحق مثل هذا...».



«انا اجهل عما تتكلم، اما بالنسبة لابعاد ماتيلدا عنك، فهذه الفكرة لم تخطر في بالي، فلديها والد مسؤول عنها وما دخلي انا بكل هذا؟».

«نعم، لماذا؟ كوني متأكدة ان ماتيلدا ستكون سعيدة جداً بالزواج مني و...».

«بالزواج منك؟ جيروم، هل فقدت عقلك؟ انا لا اعتقد ان ماتيلدا تنوي تأسيس عائلة الآن... لقد كانت تنتظر دخولها الى العالم منذ سنين طويلة وبفارغ الصبر، ولن تقرر الزواج قبل ان تتذوق طعم اللذة».

«نعم، ولكن... سارافقها الى لندن، وسأجعلها تكتشف معي اشياء كثيرة، ولا اعتقد ان هذا لن يكفيها».

«انت لديك خبرة طويلة، جيروم، لكنك لا تعرف الفتيات الصغيرات، ليس الرقص والحفلات هو الذي يعجبهن فقط، بل هن يرغبن بان يحيط بهن عشرات الشبان، ولكن اذا وقعت ماتيلدا بحبك، فان هذا لن يهمها، لكنها لا تحبك ولن تحبك، انها ممتازة باندافعها كما ترى».

وكانا وحدهما في الاسطبل، فلاحظت فانيسا تبدل ملامح وجه جيروم، ولقد اصبحت نظراته اكثر رقة، فامسكها من كتفيها، ثم ابتسم بسخرية.

«انت تحتقرينني لانني اريد الزواج من ماتيلدا مع انني بالكاد اعرفها، ولكن الضرورة تعلمك كيف تستغلين العواطف الرقيقة، وبدون هذه الضرورة لكنت انت من سيكون في خطر هنا، لا ماتيلدا» ثم تركها وحدها وخرج.



www.elromancia.com

فنظرت فانيسا الى بروك الذي كان قد انهى طعامه، ونام على القش، واخذت تفكر وتحلل كلام جيروم.

ماذا يعني بالضرورة التي ستعلمها؟... انها لا تتذكر كلماته بالضبط، لانها كلمات بدون معني، ولماذا يلمح الى ان ماتيلدا في خطر.



## - ١٠ -

وعندما خرجت من الاسطبل، خطرت فكرة في رأسها، واذا كان لهذه الكلمات معنى؟ اذا كان جيروم حقاً من الباحثين عن الثروة؟ واذا قرر خطف ماتيلدا؟ يا الهي، ستكون هي المسؤولية لانها اخبرته بان ماتيلدا لن تقبل بالزواج منه قبل الاستفادة من موسمها.

«دون هذه الضرورة لكنت، انت من سيكون في خطر هنا، لا ماتيلدا» هذا ما قاله جيروم، وبدأ قلبها يدق بسرعة، اذن هي تعجبه، واكثر من ماتيلدا.

واسرعت الى الفندق لكي تطمئن على ان جيروم مهما كانت اهدافه لن يسبب بضياع ماتيلدا من اجل الوصول الى اهدافه الانانية.

ارتدت فانيسا ملابس السهرة، ورشت شعرها باللون



www.elromancia.com

النحاسي، وكانت قلقة كثيراً على صديقتها وليست تدري ماذا يمكنها ان تفعل لمساعدتها، فمن المستحيل ان تترك ماثي تقع في الفخ الذي ينصبه لها جيروم، ولكن اي فخ؟ كيف سيحاول جرها الى مثل هذا الفخ؟ فهو لا يشك بانها تشجعه على مغازلتها، طالما انها سمحت له بتقبيلها، ولكنه مخطىء في اعتقاده انها ستتحمس لاقتراحه، صحيح انها فاتنة ورومنطيقية لكن فانيسا واثقة ان ماثي لن تترك قلبها يسيطر على عقلها.

خلال تناول العشاء كانت فانيسا اكثر صمتاً من عادتها، وظل فكرها مشغولاً في البحث عن حل، وبعد تناول الحلوى رافقت مضيفها الى غرفة المكتبة لاختيار مجموعة من الكتب، تعهد سيد القصر بارسالها تباعاً الى الفندق، كما تعهد بالكتابة الى الآنسة ماتيلدا راندولف دائماً ليطمئنها على صحة مارسي.

«اتعلمين آنسة نوريس، بانك عندما دخلت مع الآنسة راندولف، احترت ولم استطع التمييز بينكما؟ فأنت شعرك احمر وهي شعرها اشقر، ولكن مع هذه البودرة التي ترشين منها على شعرك تبدوان متشابهتين».

«آه، نعم... بدون شك، فأنا ارتدي احد اثوابها، نعم، انا افهم جيداً...».

«انكما كالتوأم، جميلتان، وعندما تنظران الى بعض اعتقد ان صورة احداكما تنعكس على مرآة».

عندما عادت فانيسا وانضمت الى الآخرين، اخذت تفكر بهذه الملاحظة، بامكانها ان تحتل مكان ماتيلدا؟



ولكن متى؟ واثناء تبادل الحديث، قال جيروم انه حجز عربة لمتابعة السفر غداً.

«سنرحل مع الفجر» اضاف جيروم «يجب ان تودعا مارسي هذا المساء».

رافقهم سيد القصر، واصبحوا اصدقاء، وتواعدوا على اللقاء في لندن، وعند وصولهم الى الفندق، دخل جيروم الى الاسطبل ليتفقد حصانه، بينما صعدت الفتاتان لتناما، ظلت فانيسا مستيقظة طويلاً وبعد تفكير رأت ان جيروم لن يؤخر تنفيذ خطته، وسينتظر حتى مساء الغد عندما يصبحون قريبين من لندن.

وفي صباح اليوم التالي استيقظوا باكراً، وركبت الفتاتان العربة ومعهما بروك، وكانت هذه اطول رحلة قامت بها فانيسا واقلها راحة، لانهم كانوا يسيرون بسرعة وفي طرقات وعرة موحلة، وكان من الواضح ان جيروم يفكر في خطة معينة وهو مصر على الوصول قبل هبوط الليل.

حاولت فانيسا ان تعترف مراراً بالحقيقة لصديقتها ماثي، لم تكن تريد ان تخبرها ان جيروم يسعى لخطفها، لكنها ارادت اخبارها بنيته بالزواج منها، وتساءلت ماذا ستكون ردة فعل صديقتها، فاذا كانت مدركة جيدا، فهذا سيجنبهما كثيراً من المشاكل، وكلما كانت تفتح معها موضوع الزواج، كانت ماثي لا تبدي اي اهتمام، وتغير الموضوع وتحدثها عن الحفلات وعن الرقص.

ومع الغروب، توقفوا في احدى المحطات وبدلوا الخيول، ولاحظت فانيسا صدفة ان جيروم وهو يتكلم مع

احد عند خروجه من الاسطبل، فاعتقدت انهم سينزلون في هذا الفندق، لكن عربتهم تابعت سيرها، يتبعها جيروم على جواده.

وكان الظلام قد حل عندما وصلوا الى فندق يسمى الريزان، لكنهم كلهم كانوا بمزاج سيء، من شدة التعب، قفز بروك الى الارض، فتبعته فانيسا واخذت تتأمل السماء، وكان الطقس اكثر دفئاً من الايام الماضية.

خرج جيروم من الاسطبل حيث ترك حصانه، وابتسم ونظر الى الكلب.

«لا بد انه متعب، اتريدين ان اهتم به بينما تنضمين الى ماتيلدا؟».

«لا شكراً» ثم دخلت وهي تحمل الكلب الى الفندق، تبعهم جيروم وطلب القهوة والبسكويت ونصحهما بالراحة قليلاً قبل موعد العشاء.

«لا بد انكما متعبتين بعد هذه الرحلة الطويلة، لكنني اردت ان نتقدم اليوم، كي تكون رحلتنا غداً قصيرة، سيكون العشاء جاهزاً بعد ساعتين، هل ستسامحاني على هذه الرحلة المتعبة؟».

«بالتأكيد» اجابته ماتيلدا، «واعدك بان احجز لك اول رقصة في حفلتي، والثانية ايضاً» ورمقته بنظرات الدلال.

«هذا ما سيغيظ النساء المسنات» اجابها جيروم ضاحكاً.

«اليس هذا ما تريدينه؟» كانت فانيسا واثقة انه يمزح لكن ماتيلدا اخذت كلامه على محمل الجد.

«بالطبع، فأنا اريد ان تكون حفلتي رائعة، يتكلم عنها



الجميع لعدة سنوات، حيث تكون الآنسة راندولف ملكة كل الرقصات، وبعد ذلك، سأتزوج رجلاً فاحش الثراء ومهم جداً».

فكرت فانيسا وهما تصعدان السلم ان ماتيلدا كتبت الأن قدرها فكل امال جيروم دمرت، ولم يعد امامه سوى وسيلة واحدة لكسب هذه الوريثة.

كانت الغرفتان متواجهتين، فدخلت فانيسا الى الغرفة التي تطل على الشارع، ثم غسلت وجهها ويديها واستلقت على السرير، واخذت تتأمل سقف الغرفة وتفكر، وعندما دخلت الخادمة، طلبت فانيسا منها ريشة وورقة وحبر للكتابة.

وعندما عادت الخادمة، جلست فانيسا وكتبت كلمة موجزة ثم وضعت الرسالة في احد الجوارير بجانب السرير.

تناولوا العشاء بشهية، ثم جلسوا امام النار يثرثرون وكان جيروم صامتاً اكثر الوقت على غير عادته، وفاجأته فانيسا عدة مرات وهو يختلس النظر اليها، وكان كل مرة يدير رأسه بسرعة، تفكرت بأنه لم يفكر بعد بردة فعلها عندما ستجد نفسها وحيدة في الصباح، فاذا لم تكن مخطئة، فأنه لم يكن ينوي تركها في مثل هذه الظروف الصعبة، وضميره يؤنبه، بعد كل شيء اذا تركته يخطف ماتيلدا، فأنها ستجد نفسها وحيدة في الصباح، بدون عربة وبدون رفقة، وحيدة مع كلبها الصغير! ان قراره انانى جداً، ولن يعرف حقيقة الوضع الذي سيخلفه وراءه! لكن ماتيلدا لن تبق وحدها

في الفندق دون اية تفسيرات، وستعلم بكل ما حصل او بكل ما تريد فانيسا اخبارها به، وذلك بعد ان تقرأ تلك الرسالة.

«الم يزعجك ضجيج المطبخ آنسة ماثي؟» سألها جيردم بقلق «لقد لاحظت حركة كثيرة بينما كنت انتظركما».

«لا، ابداً كنت متعبة جداً، ونمت ولم استيقظ الا عندما دخلت الخادمة».



## - ١١ -

اصطنعت فانيسا الابتسام على شفتيها، وفهمت ان جيردم عرف الآن اية غرفة تشغل كل واحدة منهما.

«وانت فانيسا؟ هل كانت غرفتك هادئة؟».

«نعم، شكراً كم نبعد عن لندن، الآن؟».

«بعد ثمانية محطات، وسنصل الى هانوفر سكوير في وقت الغداء، اذا انطلقنا باكراً».

«حسناً، بما اننا سنستيقظ باكراً، يجب ان لا نتأخر بالنوم، هيا بروك» قالت له فانيسا.

«سأرافقك» قالت لها ماثي «وهكذا تساعديني من خلع ملابسي، انني افتقد لمارسي حقاً».

ثم صعدت الفتاتان وبروك بين ذراعي فانيسا، بعد ان بدلت ماثي ملابسها وسرحت شعرها، استلقت في سريرها



www.elromancia.com

وقالت لصديقتها.

«تصبحين على خير، فانيسا».

«تصبحين على خير، ماثي... اسمعي، اتريدين ان تسدي لي خدمة؟».

«بالتأكيد، اتريدين ان اساعدك في خلع ثوبك؟».

«ولكن لا! فأنا لست كسولة مثلك! لا ولكن المسألة... ايستطيع بروك ان ينام هذه الليلة في غرفتك؟ لقد انزعج كثيراً بعد الظهر، وكان كلما اقتربت عربة او حدثت ضجة يبدأ بالنباح، انا اعلم ان السير سيكون خفيفاً في الليل، ولكنه سيزعجني مع بزوغ الفجر ومع بدء الحركة في الشارع، الديك مانع؟».

«لا، ابداً ولكني اتمنى الا يبدأ بالنباح عند اول حركة في المطبخ، كما وانني لا يمكنني رفض طلبك خاصة بعد ان كنت لطيفة مع مارسي هيا، اذهبي انت الى غرفتك، بروك تعال الى جانبي».

واخذت تضحك عندما نظر الكلب اليها بخوف، ثم تثاءبت وجلست.

«حسناً» قالت لها فانيسا «سأقوم معه بجولة في الخارج ثم نعود».

«لا تتأخري والا سأنام».

نزلت فانيسا ووجدت جيردم يشرب كأساً من البيرة في الصالة، فسعلت وعندما التفت نحوها، ابتسمت له.

«اريد ان انزه بروك قليلاً، اتريد مرافقتي جيردم؟».

تردد جيردم قليلاً ثم شرب كأسه وانضم اليها.



«لماذا ترغبين فجأة بمرافقتي؟ كنت اشعر انك تتجنبني، ولست ادري السبب».

«ما هذا الكلام!» ونظرت اليه بعيونها الملائكية، «اذا كنت غاضبة من احد، فأنها ماثي، لو لم تكن من وضع هذه الفكرة في رأسها... ولكن اخيراً...».

«ماذا تعنين؟ واي خطأ ارتكبت انا؟... هيا فانيسا، اخبريني ما الذي يشغل بالك».

«ليس بالشيء الخطير، كنت امزح. لقد غيرت غرفتي مع ماثي لأنك تكلمت كثيراً عن ضوضاء الشارع والمطبخ. وخافت ان يزعجها الخدم الذين سينزلون في الصباح».

«اذن، صديقتك انانية جداً» قال لها جيردم، وقد بدا عليه القلق، نكرت فانيسا ذلك، وكانت تعلم انه هو الاناني.

«حسناً، اتمنى ان تنامي جيداً، فانيسا ولا تكوني فكرة سيئة عني، ارجوك».

قد يبدو هذا الكلام طبيعياً لكن فانيسا لم تشك لحظة بمحتوى هذه الملاحظة، ولا بالتعبير الحنون في عيون جيردم السوداء، فتمنت له ليلة هادئة وصعدت السلم، ثم التفتت اليه من جديد، ورأته ينظر بعيون ساهمة، وكأن هموم الدنيا كلها في رأسه.

ترك بروك مع ماتيلدا كان سهلاً اكثر مما توقعت فانيسا، في البداية، رفض ان تتركه وتذهب، وكل مرة يراها تتجه نحو الباب، يقفز من السرير ويتبعها، ولكنه اخيراً وبعد عدة محاولات، اصبح متعقلاً ونام بهدوء.

عادت فانيسا الى غرفتها، لكنها لم تنم، وظلت تنتظر اي حركة على السلم، وبعد ساعتين تقريباً، سمعت طرقات خفيفة على الباب وصوت ينادي بما يشبه الهمس.

«ماتيلدا؟ آنسة راند ولف؟ ارجوك استيقظي».



## - ١٢ -

وكانت فانيسا قد رشت شعرها لكي تبدو مشابهة لماتيلدا، فنهضت من السرير ووضعت الشال على رأسها.

«ماذا هناك؟ ايوجد حريق في الفندق؟» سألته بصوت مرتفع.

فأسرع ووضع يده على فمها.

«صه، ستوقظين كل من في الفندق! لا اطمئني انها فانيسا الغبية!».

«اوه، ماذا فعلت؟ ولماذا تزعجني في منتصف الليل؟».

«لقد هربت! ولهذا السبب كانت تسألني كم نبعد عن لندن، لقد تركت لي هذه المعتوهة رسالة، واخذت حصاني، ولو كنت تعرفين حصاني تيرور، لأدركت الخطر الذي تواجهه، وهي تقول في رسالتها انها ذاهبة الى



www.elromancia.com

صديقة لها في لندن، يجب ان نتبعها!».

«لماذا؟ اذا كان هذا هو ما تريده هي...» سألته فانيسا محاولة ان تكون غاضبة، فابتسم جيردم.

«ايتها الساذجة البريئة، تذكري كلامي عن النساء المسنات المثرثرات، فأنهن سيغظن كثيراً اذا علمن اننا كنا وحدنا في فندق واحد، ولهذا السبب يجب ان نجد فانيسا ونعيدها مهما كلف الامر، لكي يبق فريقنا محترماً».

«آه، حسناً! سأرتدي ملابسي فوراً».

«عظيم، سأحضر عربة، هل ستكوني جاهزة بعد عشر دقائق؟».

«نعم، ولكن متى وجدت رسالتها؟ كم مضى على هربها؟».

«لقد رمت الرسالة تحت باب غرفتي، واعتقدت انني نائم، لكنني سمعت الضجة، اذن هي لم تسبقنا بكثير».

«حسناً، سأسرع».

بعد قليل التقيا في البهو، وفانيسا ترتدي معطف ماتيلدا وتنزل قبعتها على جبينها، مع انها تعلم ان خصل الشعر الشقراء ستزيل كل شكوك جيردم، ولكن لا يوجد سبب للقلق.

ساعدها جيردم في الصعود الى العربة، ثم جلس بجانبها.

«لقد طلبت من الحوذي ان يسير ببطء بسبب الظلام، وتيرور متعب ولن يبتعد كثيراً، بإمكانك ان تحاولي النوم قليلاً».



اسندت فانيسا رأسها على جانب المقعد، وغفت ولم تستيقظ الا عندما توقفت العربة، فجلست وتثاءبت وهي تضع يدها على فمها كما كانت ترى ماتيلدا تفعل دائماً.

«هل وصلنا؟ هل ترى حصانك؟».

«لقد اعطتني فانيسا اسم فندق، وبالكاد اقرأ اسم هذا... نعم لقد وصلنا».

نزل جيردم ثم قال لها بصوت ضعيف.

«ابق هنا قليلاً، اريد ان اتأكد اولاً اذا كانت هذه المجنونة هنا».

وبعد دقائق عاد جيردم وهو يحمل مصباحاً في يده.

«نعم، انها هنا، انزلي ماتيلدا ستتمكن نحن الاثنان من اقناعها وانا متأكد انها لا تشك ابداً بالقلق الذي نعيشه بسببها».

كان كلامه مقنعاً، ولو تكن هي نفسها فانيسا لكانت صدقته بسهولة! امسك جيردم يدها ورافقها الى المدخل، ثم اشار نحو السلم.

«لا تثيري ضجة يا صغيرتي، لا يجب ان نوقظ الجميع، فانيسا تنزل في الغرفة الاولى الى اليمين، واعتقد من الافضل ان نراها معاً».

ترددت فانيسا قليلاً، وتلفتت حولها بقلق.

«لماذا يجب ان نصعد؟ الا يمكننا ان نرن على جرس الخدم ليصعد احدهم ويوقظها؟».

«الجميع ينام الآن، ما عدا الخادمة التي فتحت لي الباب، تعالي!».

وحاولت فانيسا ان تدعي انها الآن فقط بدأت تشك بصدق كلامه.

«ولكن اين هي هذه الخادمة؟ لماذا اختفت اصعد انت جيردم، انا... انا نادمة لأنني رافقتك!».

ترك جيردم يدها، واحاط قامتها بذراعه ودفعها نحو السلم.

«لا نقاش ماتيلدا، لقد جئت معي، وانا ارجوك لا تصرخي!».

لم يعد بإمكان فانيسا ان تتظاهر بالخوف، لأنها كانت تخاف حقاً، وتساءلت ما هو هذا المنزل، ولماذ جاء بها الى هنا؟.

«لا، لا انا لا اريد!» وامسكت بحافة السلم بيديها.

لكنه جعلها تترك السلم وحملها حتى باب الغرفة المفتوحة، وكانت النار مشتعلة في الموقد، ويوجد زجاجة خمر على الطاولة وبقربها كأسان، وكان السرير واسع ومغطى بشرشف من الحرير، والغرفة مضاءة بالشموع، فشعرت فانيسا ببعض الاطمئنان، لكنها عادت وشعرت بأن جيردم سيخنقها عندما يعرف هويتها الحقيقية.

ادار جيردم المفتاح في قفل الباب، ثم دخل وسكب كأسين من النبيذ.

«ماتيلدا يا عزيزتي! كنت اريد ان اطلب يدك للزواج بطريقة تقليدية مختلفة، ولكن للأسف! اصبحت مقتنعاً اكثر واكثر انك لا تريدين الزواج مني، ولهذا انت تفهمين يا صغيرتي ان هذه افضل وسيلة لإقناع والدك بالموافقة



على زواجنا انا آسف حقاً لأنني اخفتك، واتمنى ان تقسمي على الانجيل انك ستقبلين الزواج مني فوراً، والا فأنني سأحاول ارغامك وانت من ستختارين، يا عزيزتي والآن، اخلعي هذه...».

ثم تقدم نحوها، فرفعت القبعة عن رأسها ونظرت اليه على ضوء الشموع، وتمنت لو تغمض عيونها ولكنها ظلت تنظر اليه بخوف كبير.

عندئذ عرفها جيردم فوراً، واخذ يرتجف من الغضب.

«انت! ما هذه الازدواجية؟ كيف...» واخذ يزيل البودرة عن شعرها، ثم امسكها بكتفيها ورماها بعنف على الكنبة، فاعتقدت انه سيضربها بعنف، لكنه امرها بحدة.

«اجلسي».

فأطاعته بخوف، وجلس قبالتها، وتأملها للحظة واليأس باد على وجهه.

فأحست فانيسا بالشفقة عليه عندما لاحظت مدى خيبته.

«حسناً؟» قال غاضباً.

فأخذت تبحث عن جواب، عن كذبة تنقذها، لكنهافهمت ان الحقيقة فقط هي التي تفرض نفسها.

«لقد كذبت عليك، وانا لم اغير غرفتي مع مائي».

«هذا ما اراه لماذا؟».

«لقد فهمت انك ستفعل شيئاً من هذا النوع، ولا يمكنني ان اسمح لك بذلك، فماتيلدا صديقتي».

فهز رأسه وناولها كأساً من النبيذ، وشرب كأسه جرعة واحدة.

«لماذا لم تخبريها اذن؟ لماذا لم تحذريها مني؟».

شربت فانيسا جرعة، واحست ببعض الشجاعة.

«لم تكن ستصدقني، ولكني لو فعلت، لكانت ماتيلدا قضت عليك، جيردم».

«ماذا تعنين؟ اتعنين انها كانت ستخبر الجميع بأنني لست شريفاً؟».

«نعم».

«ولماذا تقتلين نفسك؟».

«يجب علي ذلك، فبعد كل شيء، انت لم تستغلني في مساء اليوم الاول في ذلك الفندق و...».

«كان بإمكاني ان افعل، وبإمكاني الآن ان افعل» ونظر اليها بغضب شديد، خافت فانيسا وانزوت في زاوية الكنبة وشربت جرعتين من كأسها.

«لا، جيردم كنت تريد خطف ماتيلدا بسبب مالها؟».

فهز رأسه، ونهض وسكب لنفسه كأساً آخر ثم حمل الزجاجة ووضعها بقربه.

«نعم، انا بحاجة ماسة للمال، قصري وارضي... ولكن، ماذا يهم الآن؟ اعتقد انك لعبت ماتيلدا لكي ترغميني على الزواج بك؟».



# - ١٣ -

فنهضت فانيسا بسرعة لشدة دهشتها، واوقعت الكأس على ثوبها.

«يا الهي لا! هذه الفكرة لم تخطر ببالي ابداً، كل ما كنت اريده ان لا تحصل اية فضيحة، وعندما ستستيقظ ماتيلدا، ستقرأ رسالتي، وستفهم ان كل شيء يسير على ما يرام، ولكن يجب ان نعود الى الفندق، وبأسرع وقت ممكن» ثم وقفت لكنه اشار اليها بأن تجلس من جديد، وعندما لم تطعه فوراً دفعها بعنف.

«مستحيل، لقد قضينا ساعتين حتى وصلنا الى هنا و... ولكن ماذا كتبت في رسالتك؟».

نظرت فانيسا اليه بقلق وهو يسكب كأساً جديداً وادركت فانيسا انه سيحاول اغرائها، هذا واضح في عيونه، انه



www.elromancia.com

اصبح خطيراً وحقيراً».

«لقد كتبت لها انني تذكرت مربيتي القديمة التي تسكن بالقرب من هنا، وبأنني استعرت حصانك تيرور، ثم كتبت رسالة اخرى سلمتها للخادم، ووقعتها بإسمك انت، وكتبت فيها بأنك لحقت بي لأن تيرور بدل العربة لكني اخشى ان هذا لن يفيد بشيء، يا صغيرتي، لقد تركت رسالة انا ايضاً».

«اوه لا! كنت اعتقد انك ستتركني بكل بساطة و... و... لكن هذا ليس مهماً طالما انني لن اكون هناك لأقرأها» فضحك جيردم بمرارة، ثم شرب كأساً آخر.

«بدون شك، ولكني كتبت رسالة ايضاً لوالدتي، وهي تنزل في الفندق الذي مررنا امامه بالامس، واسمه...».

«تايل هاوس، نعم لقد رأيتك تخرج من الاسطبل».

«نعم، لقد توسلت اليها ان تتجه فوراً الى فندق الريزان، وان تصل اليه قبل الساعة الثامنة صباحاً لكي ترافق فتاة موجودة هناك وحيدة وحزينة، واخبرتها بأنني انوي اغراء وريثة ثرية، وطلبت منها المساعدة في هذه المسألة» ثم ضحك بمرارة واضاف.

«يا الهي! لن تسامحني ديمتريا ابداً! ان اخطأ بالفتاة! ان اخطف الآنسة البسيطة بدل الآنسة راند ولف الثرية! كل هذا لأنني لم آخذ في الحسبان طيش فتاة ملعونة غبية!».

«لكنك لن تخطف احداً، جيردم، كل شيء سيتدبر وستقرأ والدتك الرسالة، وستأتي الى الفندق، لكنها ستفهم فوراً بأنه سوء تفاهم عندما ستجد نفسها وجهاً لوجه امام



ماتيلدا راند ولف!».

«لم يسبق لها ان رأتها من قبل، ووالدتي ستدخل الى بهو الفندق وستصرخ بأعلى صوتها، انها جاءت لإنقاذ الآنسة راند ولف من مصيبة اكبر من الموت! وهكذا، يا صغيرتي سيعلم الجميع ان الآنسة راند ولف خطفت، نعم ولهذا السبب طلبت من والدتي ان تتدخل».

«اذن يجب علينا ان نعود فوراً لكي نمنعها من الوصول الى الفندق!» ونهضت لكن جيردم نهض ايضاً وامسكها وضمها اليه، واحست الفتاة بضربات قلبه.

«لقد فات الأوان بالنسبة لذلك، وفات الأوان بالنسبة لك! بالتأكيد انا لن اتزوجك ولكن...».

واطبق شفتيه على شفتيها وكأنه يريد معاقبتها، ارادت الفتاة ان تصرخ لكنه منعها واجبرها على فتح شفتيها، وهو يفك ازرار قميصها، واحست باصابعه على جسدها لكنه خنق كل محاولتها للتخلص منه.

وفجأة تركها فأخذت تبكي وخبأت وجهها بيديها.

«الى السرير!» امرها بحدة.

«ماذا؟ ولكن...» واحست بالدوار، وادركت ماذا سيفعل، انه غاضب جداً لأنها افسدت مخططه، ويريد معاقبتها لأنها جعلته يخسر تلك الوريثة! تقدم جيردم نحوها وعيونه تلمع ببريق لم يسبق لفانيسا ان رأته، وجفت حنجرتها ولم تعد قادرة على الكلام.

«لا، لا! جيردم ارجوك...» ومن خلال الدموع رأته يقترب منها اكثر وقد اصبح شكله مخيفاً.

«نعم، نعم! ايتها الفتاة الغبية!».

ثم حملها ورماها بعنف على السرير.

اصبح بروك الكلب الصغير مطيعاً عندما فهم ان سيدته تريده ان يقضي هذه الليلة مع ماتيلدا، لم يكن سعيداً، لكنه امتثل لرغبتها، وكان سيبقى هادئاً حتى الصباح لو لم يسمع حركات في الممر فأدرك ان هذا الرجل هو نفسه الذي ضمد جروحه، والذي كان يتكلم دائماً بحنان مع فانيسا.

فتردد قليلاً وحرك ذنبه بهدوء، زائر! اينبح قليلاً؟ لكن لم يعلمه احد ان يقوم بأي انذار، فاكتفى بالجلوس وثبت نظره على الباب مستعداً للقفز اذا اقتضت الظروف.

لكنه سمع الرجل يتكلم مع فانيسا ثم سمع خطوات الرجل يبتعد، وفانيسا تغلق الباب وراءه، وعندما لم يعد يسمع شيئاً عاد الى النوم ولكن بعين واحدة، وكان قلقاً دون ان يدري سبب قلقه، وعندما خرجت فانيسا من غرفتها وابتعدت بهدوء، نهض بروك فوراً، وسمعها تنزل السلم وتجتاز المدخل، ثم سمع وشوشة، ثم فتح باب الفندق واغلق من جديد، فأسرع الكلب نحو الباب لكنه لم ينجح في فتحه، لقد رحلت سيدته وتركته وحيداً منسياً.

عندئذ قفز الى سرير ماتيلدا واخذ بالنباح، ولكن عندما لم تتحرك بدأ ينهش بالفراش بقوائمه، ويحاول ابعاد الغطاء عن ماتيلدا، فنهضت ماتيلدا وبدأت تصرخ وتشتمه.

وعندما فتحت له الباب اخذ يروح ويجيء في الممر، ثم عاد وكأنه يريد منها ان تتبعه، لكن ماتيلدا سرت لأنها



تخلصت منه، وعادت للنوم، اما بروك فلم يتردد ونزل السلم واخذ يبحث بصمت ثم عاد وصعد السلم كالسهم وجلس امام باب غرفة ماتيلدا وعاود النباح، لكنها لم تفتح له، استيقظ بعض زبائن الفندق واضطروا ماتيلدا لكي تخرج من غرفتها وهي في قمة الغضب، وما ان رآها بروك حتى اسرع الى باب غرفة فانيسا وعاد للنباح من جديد، فخطرت ببال ماتيلدا افكار سوداء، وقلقت على فانيسا ففتحت باب غرفتها واشعلت الضوء وكانت دهشتها كبيرة عندما وجدت السرير خالياً.

فنظرت الى الكلب بشيء من الاحترام، لقد كان محقاً، ولكن الى اين ذهبت فانيسا في هذا الليل؟ ادرك بروك انه استطاع افهام ماتيلدا، فعاد ونزل السلم، واخذ يضرب الباب الخارجي بقوائمه ثم صعد من جديد، فأخذت ماتيلدا تبحث في الغرفة عن تفسير لهذا اللغز، واخيراً وجدت رسالة موجهة لها بخط صديقتها، ففتحت الورقة وقرأتها بسرعة.

«عزيزتي ماتيلدا.

لا تقلقي اذا لم تجديني في غرفتي، بما ان الطقس جميل جداً هذا الصباح، فلقد قررت زيارة مربيتي القديمة التي تسكن قريباً من هنا، واخذت الحصان تيرور، وساعود قبل الغداء، فانيسا».

عادت ماتيلدا الى غرفتها وهي تشعر بحيرة كبيرة، هذا لا معنى له كيف توقعت فانيسا ان هذا الصباح سيكون جميلاً؟ فالنهار لم يطلع بعد، وهذا ليس وقتاً للقيام

بزيارات وعلى والجواد؟.

فقررت ان توقظ جيردم، لأنه سيكون غاضباً اذا لم تخبره، ولكنها لم تكن تعلم في اية غرفة ينام، ولكن بروك كان يقوم بضجة في الممر مما ايقظ احدى الخادمات التي خرجت من غرفتها وهي تحمل شمعة بيدها.

«ماذا هنالك؟» سألت الخادمة ماتيلدا بقلق «هل يوجد لصوص في الفندق؟».

«لا، ولكنني لا استطيع اسكات هذا الكلب، واريد اعادته الى سيده، ولا اعرف في اية غرفة ينام السيد هاركورت، ايمكنك ان ترشديني الى غرفته؟ انه ذلك الشاب الانيق صاحب الشعر الاسود».

«نعم، نعم انه في آخر الممر الى جهة اليمين، تصبحين على خير يا آنسة».



## - ١٤ -

ارادت ماتيلدا ان تكون انيقة امام جيردم، فسرحت شعرها وغسلت عيونها بالماء البارد، وانتعلت مشاية من المخمل، ثم اتجهت نحو غرفة جيردم.

دقت على الباب ونادت عليه بهدوء، واخيراً عندما حاول بروك دفعها، دخلت بخجل، وعلى ضوء الشمعة التي بيدها، رأت السرير خالياً.

وبهذا الوقت، كان بروك قد بدأ يفقد صبره، فأمسك اسفل قميص نومها بأسنانه وتقدمها نحو السلم ولم يتوقف الا امام الباب الخارجي واخذ ينظر الى ماتيلدا ويهز ذنبه، ففتحت ماتيلدا الباب، عندئذ انطلق الكلب كالسهم، واختفى في الظلام، وكان الفجر على وشك البزوغ، ولم تجرؤ ماتيلدا على المغامرة في الظلام، فعادت الى



www.elromancia.com

غرفتها، لكنها لم تقفل الباب جيدا، في حال عاد جيردم او فانيسا، اما بالنسبة للكلب، فبإمكانه انتظار الفجر في الخارج.

صرخت فانيسا عندما رماها جيردم على السرير، ورمى بكل ثقله عليها، وضمها بعنف بحيث لم يكن بإمكانها المقاومة وبدأ بتقبيلها بهدوء على جفونها وخدودها وعنقها، وكانت عيونه تقدحان بلهيب مخيف، ثم اطبق فمه على فمها في قبلة طويلة وحنونة وملحة، ففهمت فانيسا انها تحبه، وانه اذا اعتدى عليها فهذا لن يكون رغماً عن ارادتها.

وعندما اصبح اكثر عنفاً، واكثر جرأة، لم تقاومه بل اغمضت عينيها وانتظرت الى ان رفع رأسه عنها وتمتمت.

«جيردم انا احبك».

لكن هذه الكلمات زادت من اندفاعه، فعادت وقالت له بهدوء حزين.

«جيردم، اذا كنت تحبني، سيكون هذا رائعاً، لكنك لا تشعر بشيء تجاهي، وانا لا اريد ان اكرهك للأبد».

تأملها جيردم بدهشة، ثم ابتسم بسخرية.

«لن تكرهيني! ستكونين سعيدة! وهذا ما انت عليه الآن!».

«ليس هذا هو الامر، جيردم انه الانتقام، اليس كذلك؟ انت لا ترغب بي، تريد فقط امرأة تشبع حاجتك، ولهذا السبب لن اتمكن من مسامحتك، ولا من مسامحة نفسي».

نظر جيردم في عيونها ولاحظ الدموع فيها، لكنها



حبست هذه الدموع، فهي لم تكن تريد ان تثير شفقته، بالبكاء، فهي لم تفعل له شيئاً، لكنها حاولت فقط ان تنقذ صديقتها من حبائله، وهي تتكلم عن الحب! واي حب؟.

لاحظ جيردم انها لا تخاطر بشيء، فنهض رغماً عنه، وسكب لنفسه كأساً ثم عاد فوجدها لا تزال ترتجف والسرير يهتز بها، فأقسم لها انه لم يكن يريد اخافتها، وانه كان ضحية للكحول ولمزاجه السيء.

وما ان انهى كلامه هذا، حتى اجهشت فانيسا بالبكاء، فاقترب وضمها اليه بحنان كما فعل اول مرة وهو يهمس بأذنها بكلمات رقيقة جداً، وكان يشعر بانفعال قوي يكبر ويكبر حتى ليكاد يمزق قلبه اذا لم يعترف لها بما يشعر نحوها، لكنه كان يعرف ان اية كلمة لن تعبر شفتيه، انه لا يستطيع الزواج من فتاة فقيرة، رغم مشاعره القوية، كما وانه لا يمكنه ان يجعل من هذه المخلوقة البريئة عشيقة له.

وعندما هدأت، طلب منها ان ترتب ملابسها، وقال لها بأنه سيعيدها الى فندق ال رايزان.

«بإمكاننا بعد كل هذا ان نعتقد بالمعجزات» قال لها مازحاً.

«فقد تكون والدتي نجحت في الحفاظ على لسانها!».

ما ان عادت ماتيلدا الى النوم حتى دخلت الخادمة وفتحت الستائر، واعلنت ان اليوم هو يوم خريفي جميل ومشمس.

«حسناً، يا الهي انا لم انم جيداً، هل ايقظت الآنسة

نوريس؟».

«لا، ولكنني سأحمل لها فطورها وهذه الرسالة، تناولي فطورك الآن قبل ان يبرد».

«اذا لم تجدي الآنسة نوريس في غرفتها، فاتركي الرسالة معي، وسأعطيها لها فور عودتها» قالت لها ماتيلدا بمكر، بعد دقائق عادت الخادمة.

«لقد خرجت، قد تكون ارادت ان تستغل شمس الصباح لكي تنزه كلبها الصغير، سأترك هذه الرسالة معك».

وكانت ماتيلدا تموت من الفضول لمعرفة فحوى الرسالة، وما ان خرجت الخادمة، حتى فتحت الرسالة التي كانت موقعة من جيردم.

«لقد طلبوني لأمر طارىء، لا تقلقي، لقد رتبت كل شيء بحيث ان ديمتريا ستأتي لنجدتك، اعدك بذلك، وفكري بأميرك!» اعادت ماتيلدا قراءة هذه الرسالة الغريبة عدة مرات، وتركت فطورها يبرد، وكلما فكرت بهذا اللغز اكثر، كلما تعقد اكثر، ديمتريا؟ من تكون يا ترى؟ ولماذا ترافق فانيسا الى لندن بدلاً منه؟ يجب علي انا ان ارافق فانيسا الى لندن، انه يتلاعب بنا نحن الاثنتين بكل بساطة.

ثم اخذت افكارها اتجاهاً آخر، جيردم كان يلاحقها وكانت تجد لذة وتسلية في ان تكون محط الانظار والانتباه، ولكنها كانت تشعر احياناً بأنه مهتم اكثر بفانيسا واذا تأكدت من وجود علاقة بينهم فهي ستكرهه الى اللأبد، قطع حبل افكارها دخول الخادمة مع بروك.



«هذا كلب الآنسة نوريس! يبدو انه كان يركض طوال الليل!».

«ابعديه من هنا، انا لا اريده، انه متسخ، قولي لعامل الاسطبل ان يغسله وان يعيد تضميد جرحه... سأهتم به فيما بعد» ثم ترددت قليلاً وسألت الخادمة.

«هل عاد السيد هاركورت او الآنسة نوريس؟».

«اوه، هل هربا معاً؟» سألتها الخادمة بدهشة، «كنا نتساءل... ولكن الآنسة نوريس تبدو متعقلة! وكيف استطاعت ان تترك كلبها؟ فهي تحبه كثيراً، يا الهي انا...».

«لا، لا هما لم يهربا معاً، كم انت غبية! هذه الرسالة تشرح كل شيء، الآنسة نوريس خرجت في وقت مبكر لزيارة مربيتها القديمة التي تسكن بالقرب من هنا، وتركت رسالة للسيد هاركورت، تشرح فيها كل شيء، ولقد ذهب هو للبحث عنها، لقد اخذت حصانه، وكما ترين حصانه ليس مطية مناسبة لفتاة».

«آه» واحمر وجه الخادمة «انا آسفة، لقد اسأت الظن بصديقتك ولكن...».

«هذا ليس مهماً، دعينا لا نتكلم فيه، ايمكنك مساعدتي في ارتداء ملابسي، بما ان صديقتي ليست هنا؟».

وبعد قليل كانت ماتيلدا قد ارتدت ملابسها، واصبحت جاهزة لمواجهة هذا اليوم وما يحمله من اسرار، فنزلت الى البهو على أمل ان تجد رسالة اخرى لها، لكنها لم تجد شيئاً، ولاحظت من عدم اهتمام احد بها، ان الخادمة قد

نشرت الاشاعة في كل الفندق، ولكنها في قرارة نفسها لم تقتنع بزيارة فانيسا لمربيتها، ثم خرجت الى الاسطبل، لتسأل متى ستكون العربة جاهزة لمتابعة السفر الى لندن، وقبلت ان تنتظر ساعة او ساعتين، ومهما كان قد حصل، فهي تريد متابعة السفر، فرسالة فانيسا تلمح الى انها لن تتأخر كثيراً، ورسالة جيردم تلمح الى وجود انسانة لا تزال مجهولة حتى الآن ولم يظهر سوى بروك المتعب جداً والذي يبدو عليه انه ركض طويلاً.

«ولكن، آنسة لقد رحلت العربة منذ ساعات طويلة! ولست ادري اية ساعة بالتحديد، ولكن قبل طلوع الفجر، وستمر عربة المسافرين بعد ساعة».

«اعتقد ان فانيسا خافت من تيرور، وان جيردم تبعها على جواده».

«عفواً، آنسة لكن السيد هاركورت هو الذي اخذ العربة وليست الآنسة فانيسا».

«آه... في هذه الحالة، الآنسة نوريس اخذت تيرور كما كتبت لي، يا الهي، اتمنى ان لا يكون قد حصل لها مكروه».

«بالطبع لا، لأن الحصان الاسود لا يزال هنا».

«ماذا؟» سألته بدهشة «ولكن من اذن... ماذا...».

بهذا الوقت دخلت عربة فخمة الى باحة الفندق، ثم اخرجت امرأة رأسها من النافذة، ولم تكن صغيرة السن، لكنها جميلة ومثيرة، ووجهها ذكر ماتيلدا بشخص ما.

«هاي، انت!».



وكان صوتها حاد ولهجتها متسلطة تدل على شخص قد اعتاد اصدار الاوامر، فأسرع عامل الاسطبل ورفع قبعته.

«نعم سيدتي؟».

«ابني... هل غادر الفندق؟ انه يدعى السيد هاركورت و...».

«نعم سيدتي، لقد رحل مع آنسة شابة صديقة هذه الآنسة».

«حسناً، والى اين ذهبا؟».

شعرت ماتيلدا بالاهمال، لأن السيدة ديمتريا لم تنظر اليها وهي منذ ان استيقظت هذا الصباح والجميع يهملها، كما وانها تواجه لغزاً يزداد كل لحظة غموضاً، وهي تشعر برغبة للعراك مع احد ما.

«ابنك سيدتي، لم يترك اي خبر عندما رحل، لكنه بدون شك خطف صديقتي، اعتقد انهما متجهان نحو الحدود».

صرخت ديمتريا بدهشة، ووضعت يدها على قلبها.

«خطف؟ ابني؟ اوه لا، لا بد انهما متحابان جداً و...».

وما ان اكتشف انها وريثة وغنية جداً، لاحظ انه لن يستطيع العيش بدونها» قاطعتها ماتيلدا باحتقار.

«انا لا يمكنني ان اسمح...».

«سيدتي، لا انا ولا انت يمكننا فعل اي شيء انا اريد مساعدة صديقتي، المسكينة البريئة الرفيعة، فهي لا اهل لها، والوصي عليها سيكون غير قادر على مواجهة اخاديع



www.elromancia.com

شاب مثل السيد هاركورت!».

«ابني...».

«انه يكبر ضحيته بخمسة عشرة عاماً تقريباً، وهو خبير بأمور النساء، والآن، اعذريني لأن صديقة يجب ان تصل لمرافقتي الى العاصمة».

ثم دخلت ماتيلدا الى الفندق غاضبة، وصعدت الى غرفتها، وحزمت حقائبها وعندما نزلت الى البهو، طلبت فنجان قهوة، وسألت صاحبة الفندق اذا كان احد قد سأل عنها.

«لا احد آنسة، ولكنك كنت تتكلمين مع السيدة في الباحة منذ قليل...».

«هذه السيدة هاركورت، وانا انتظر... شخصاً آخر».

«من اذن، ديمتريا هاركورت؟» سألتها صاحبة الفندق باهتمام «ولكن ما بك، آنسة؟».



## - ١٥ -

ابتعدت ماتيلدا بسرعة، دون ان تلتفت وراءها، وصعدت الى غرفتها ثم رمت نفسها على السرير، واخذت تضرب بيديها بغضب على الوسادة ثم استلقت على ظهرها، واخذت تضحك بجنون.

«ديمتريا هاركورت! من الغريب ان ينادي جيردم والدته باسمها الصغير! اذن كان يقصد والدته! آه يا الهي، هذه القصة تزداد تعقيداً، والآن يجب ان استقل العربة القادمة، وعندما سألتقي بجيردم هاركورت في هانوفر سكوير، سيكون لي معه حديث طويل.

وكانت ماتيلدا قد بدأت تعتقد ان فانيسا الآن في وضع مأساوي، لكنها لم تعرف بعد كيف اكتشف جيردم ان فانيسا هي الآنسة باسكومب، ومن المؤكد ان فانيسا ليست



www.elromancia.com

معجبة بجيردم ومع ذلك وقعت بين مخالبه.

فكرت ماتيلدا كثيراً، لكنها لم تجد وسيلة لمساعدة صديقتها، فاذا لم يكن قد... اذا كانت فانيسا لا تزال عذراء... فيمكن للقصة هذه ان تطمر وان يوجد لها حل، وقررت ان تخبر اللايدي ريمنغتون فور وصولها علها تستطيع انقاذ صديقتها.

«ماتيلدا... اقصد الآنسة راند ولف... رحلت؟ ولكن... ولكني... انا... قلت لها ان تنتظر... الى اين ذهبت؟ هل هي... هي...؟» تلعثمت فانيسا وفقدت كل هدوئها.

تبعها جيردم الى الفندق وامسك ذراعها.

«اهدئي... اهدئي يا... آنسة نوريس لا تقلقي الآنسة راند ولف واعية، ولن تصاب بأي مكروه» ثم التفت نحو صاحبة الفندق واضاف «لقد ذهبت الآنسة نوريس باكراً لزيارة قريبة لها، وذهبت انا للبحث عنها، وتركنا رسالة للآنسة راند ولف نشرح لها فيها...».

«نعم، نعم سيدي لقد انتظرت الآنسة راند ولف قليلاً، ثم جاءت السيدة ديمتريا هاركورت، وبعد ان تكلمت معها، قررت الآنسة راند ولف ان تستقل عربة المسافرين، رغم نصائحي لها! واشك في ان تصل الى لندن قبل فترة بعد الظهر».

«حسناً، الافضل اذاً، ان ننطلق فوراً».

ما ان اصبحا في الخارج، حتى امسكت فانيسا كم جاكيته.



«لا تغضب، جيردم، يبدو ان والدتك والآنسة ماتيلدا لم يتناولا سوى بضعة كلمات، ولم يحصل اي شيء، اذا كانت قد علمت بالقصة، ستذهب معها الى لندن».

«آه، انت لا تعرفينها! ديمتريا تسافر ببطء وستصل تقريباً بنفس الوقت مع عربة المسافرين، هيا لنسأل صبي الاسطبل كما وانني اريد ان آخذ حصاني».

وجدا عامل الاسطبل ينظف المكان، وكان يحترق من الفضول.

«آه، نعم، سيدي السيدة هاركورت كانت غاضبة! ولم اكلمها، كنت مشغولاً، ولكني سمعت كل شيء».

«حسناً، ماذا سمعت؟».

«سمعت ان لديها ابن يقيم هنا، وانه هرب ليلة امس مع وريثة غنية!».

«يا الهي» صرخت فانيسا «وماذا اجابتها الآنسة الشابة؟ الآنسة راند ولف، الشقراء هل سافرت في عربة المسافرين؟».

«لم انتبه، لكنني رأيتها تسرع غاضبة نحو الفندق».

«ماذا سنفعل الآن، سيد هاركورت؟» سألته فانيسا وكان الصبي قد ابتعد، ثم التفت من جديد بذهول.

«سيد هاركور؟ آه سيد انا كنت اعتقد...».

«ولكن نعم، نعم الآن هيا اسرج لي جوادي الاسود، وليكن جاهزاً بعد عشرة دقائق، ستسقل الآنسة نوريس العربة الصغيرة».

«لا، انا احتاج لنصف ساعة، فأنا اشعر بالجوع، كما

وانني بحاجة للراحة قليلاً».

عادا الى الداخل وطلبا القهوة، والفطور، جلست فانيسا قرب النار ودعت جيردم للجلوس.

«تعالى جيردم، ولتتحدث بكل هذا فوراً، اعتقد انك تظن بأن ماتيلدا تشك بكل شيء؟».

«لا، ولكنها ستعرف حين وصولها الى هانوفر سكوير، فأنا اتكهن بما حصل، وصلت ديمتريا وعلمت ان ابنها خطف فتاة، لكنها لم تحدد هويتها وماتيلدا استنتجت انك انت التي اردت خطفها».

«حسناً، هذا صحيح».

«لا، انا... اخيراً يجب ان نصل الى لندن قبل عربة المسافرين، وان نجد ماتيلدا قبل ان تلتقي بوالدتي العزيزة في هانوفر سكوير».

«انا افهم. ويبدو لي كل شيء مبسطاً».

شرب جيردم قهوته ثم نهض ووقف امام النافذة.

«هيا، اسرعي! فأنا لا ارى شيئاً بسيطاً في كل هذا!!».

«لا، لأن عقول الرجال اقل مرونة من عقول النساء، يجب علينا بالتأكيد ان ننزل ماتيلدا قبل وصول العربة الى لندن».

انتفض جيردم.

«ان ننزلها؟ لعبة اولاد هذه! ولكن كيف سنصل قبل وصولهم الى لندن؟ هيا قولي!».

«انها ستتوقف في ارض البور، واذا نحن.. واذا نحن اقنعناهم».



جلس جيردم بقربها وهزها بكتفيها، فتابعت اكل الكاتو وعيونها تشرق بمكر.

«ماذا تقولين ايتها الشيطانة؟».

بلعت فانيسا لقمتها وقالت له مبتسمة.

«انها لذيذة جداً، جيردم، خذ لك قطعة منها! حسناً سنهاجم العربة بكل بساطة».

وكان جيردم يمد يده نحو صحن الكاتو، فتجمدت يده مكانها.

«نهاجمها؟ هل انت مجنونة؟ نضع اقنعة على وجوهنا ونحمل مسدسات، اليس كذلك؟».

«لكن نعم، لا تزال معي ملابس ابن عمتي، فوق وبإمكاننا ان نضع اقنعة على وجوهنا ليس لدي مسدس ولكنني استطيع ان احمل عصاً تحت معطفي ولن ير احد شيئاً».

«هذا جنون! ولماذا نهاجم العربة؟ حتى ولو نجحنا وانزلنا ماتيلدا، ماذا سنقول لها؟».

«بإمكاننا ان نحجزها لقاء فدية، وهكذا لن تكون انت مجبراً على الزواج منها، وهكذا لن تتأثر هي، وانا متأكدة انها ستفضل التضحية بمبلغ محترم من المال».

نهض جيردم وقد عقد حاجبيه ثم ابتسم.

«هذه بالفعل اسوء اهانة سمعتها! كيف ستعلمين ابنتها البريئة الصغيرة، اذا لم تكن هذه اللعبة تعرضني للخطر وللشبهات؟ فأنا اسمح لنفسي بأن اقول لك بأن عدداً كبيراً من السيدات سيجدن هذا مثيراً!!».

«توقف عن المزاح، جيردم وكن جدياً، عندما تنجح العملية، ستكشف الحقيقة لماتيلدا، واخيراً ليس الحقيقة الصحيحة، لكن القصة التي تخيلناها الآن، انا هربت لأنني اعتقدت انك ستعديني الى عمتي... وعندما شككت بمحاولة الهرب، تبعتني الى خارج الفندق ثم ركبت معي في العربة».

«ثم تعطلت عجلة عربتنا، واضطررنا للجوء الى مزرعة قريبة بانتظار استبدال العجلة... اذا صدقت ذلك، فأنها ستصدق كل شيء! وماذا ايضاً؟».

«سيد، انا لا يمكنني ان اعيش حياتك بدلاً عنك! حاول اغرائها اذا كنت مصراً على الزواج منها! وانا لن اسمح لك بخطفها، فلا تفكر بذلك، ولكن اذا تصرفت جيداً فلن اخبر احداً بما فعلناه هذه الليلة».

امسك جيردوم يديها، وساعدها في النهوض وهو يضحك.

«بما فعلناه هذه الليلة! ليس لديك ما تروينه! والآن هيا اسرعي بتغير ملابسك، وارتدي البنطلون وضعي القبعة وغطي نفسك بشالك، على أمل ان لا يلاحظ احد انك فتاة، هيا ولا تتأخري و... فانيسا؟».

«نعم؟».

«لقد تغيرت، لماذا انت مرحة هكذا وفجأة؟».

«آه، اتريد حقاً معرفة السبب؟ سأسرع».

لم تتأخر فانيسا وعندما نزلت كان جيردم ينتظرها في الاسطبل.



«اركبي فانيسا، وهيا بنا نحو الارض البور».

«هل احضرت مسدسيك جيردم؟ ايمكنني ان احمل واحداً؟».

«لا، لا يمكنك اراهن بأنك لم تحملي من قبل مسدساً بيديك، حاولي فقط ان تظلي محافظة على نفس المستوى، وعندما نصل الى الارض البور، ابحثي عن مجموعة اشجار حيث تختبئين بينها بانتظار وصول العربة، وانا من سيطلق النار اذا اضطر الامر وفوق رؤوس الجياد، اما انت فقد تقتلين احد الخيول».

«لا ابداً، انا احب الجياد كثيراً» اجابته وضحكا معاً، وسارا معاً جنباً الى جنب باتجاه لندن وكأنهما اصدقاء منذ زمن بعيد.

«هذه هي؟» سألته فانيسا وقد رفعت الفولار على وجهها.

«نعم، انها هي اتبعيني!».

واتجها بسرعة نحو العربة، وما ان رآهما الحوذي حتى شد على زمام جياده وصرخ «هو» ووجه نصائح سريعة للركاب.

«لا تتحركوا! اخفضوا رؤوسكم...» لكنه لم ينجح الا في ازدياد توترهم.



www.elromancia.com

## - ١٦ -

وعندما اطلق جيردم رصاصة في الهواء، جنت الخيول واخذت العربة تهتز بعنف فوق الطريق الوعرة، فوقعت سلة قصب مليئة بالدجاج على ركبتي الحارس الذي كان يدير بندقيته القديمة نحو الفارسان، فوقعت بندقيته في حفرة، ثم نظر الحارس الى الفارسين وهو يتمنى ان لا يحل غضبهما عيه، وسرت الدجاجات كثيراً بحريتهن ورفرفت بجوانحهن وابتعدن بسرعة، نزلت فانيسا عن فرسها واقتربت من العربة حيث تتعالى الصرخات، وكتمت رغبتها في الضحك وهي تنظر الى جيردم وهو يحاول السيطرة على حصانه ويهدد العربة بمسدسه.

وما ان وصلت الى العربة، حتى نبح كلب صغير بفرح كبير ورمى بنفسه من العربة... لكنه ظل عالقاً في الهواء.



«دعوا هذا الكلب ينزل من العربة!» صرخت فانيسا وقد نسيت ان تجعل صوتها خشناً.

«حرروا هذا الكلب فوراً!» صرخ جيردم من وراءها.

فحررت امرية تجلس بقربه حبل الكلب، فأسرع فرحاً واتجه نحو سيدته، فحملته بين ذراعيها وتركته يلمس الجزء الظاهر من وجهها.

نزل جيردم عن حصانه وهو يحمل مسدسيه، ثم فتح باب العربة، ورأى بداخلها مزارع وزوجته، وبحار ورجل عجوز، ووجه الآنسة ماتيلدا راند ولف المتعالي.

«انت هناك؟ هل هذا الكلب لك؟».

هز جميع الركاب رؤوسهم بالنفي.

«انت، الآنسة التي في الزاوية! هل هذا الكلب لك؟».

«حسناً، لا اعتقد ان امتلاك كلب يعتبر جريمة!» اجابته ماتيلدا بجفاف.

«نعم، لكن هذا الكلب مسروق!» صرخت فانيسا «يجب ان تأتي الآنسة معنا لكي تبرري موقفك امام الشرطة».

لم تكن ماتيلدا غبية، لقد لاحظت استقبال بروك لهؤلاء اللصوص، ولاحظت الآن خصلة من شعر فانيسا الاحمر.

«حسناً، ولكني اتمنى ان يكون لديكما سبب لذلك» اجابت ماتيلدا مهددة.

ثم نزلت من العربة، فأسرع جيردم ورفعها فوق حصانه، ثم ركب خلفها واشار الى فانيسا ان تفعل مثله، وبعد لحظات اختفوا عن الانظار، وهم يتجهون نحو الغابة

الصغيرة.

«حسناً؟».

وكانوا قد اصبحوا بعيدين، ولم يعد بإمكان ماتيلدا الانتظار اكثر، فابتسم جيردم بمودة.

«حسناً ماتيلدا! باختصار كان يجب علينا ان ننزلك من هذه العربة...» وروى لها قصتهما، هرب فانيسا وكيف تبعها وكيف انكسر دولاب عربتهما...

«وكنت قد تذكرت ان والدتي تنزل في فندق قريب، فرجوتها ان تذهب الى الفندق الذي تنزلين فيه لكي توصلك الى هانوفر سكوير، وانا لا افهم لماذا لم تفعل!».

«انها تلك الرسائل!» واحمر وجه ماتيلدا «كان كل شيء غريباً، انا اخشى انني جعلت والدتك تعتقد انك خطفت فانيسا المسكينة».

«كيف استطعت ان تفعلي شيئاً مماثلاً؟» سألها وقد تظاهر بالغضب «وسمعة فانيسا؟ الحمد لله اننا لدينا مربية فانيسا كشاهدة، كما وان فانيسا لم تختفي في منتصف الليل».

«تقريباً! لكنني لم انظر الى الساعة، لكن الظلام كان حالكاً، عندما ايقظني بروك بنباحه، ثم وجدت رسالة فانيسا، وعندما احضرت لي الخادمة فطوري وجدت رسالتك، فازدادت شكوكي...».

«لكنني لم اكتب لك رسالة!».

«لم تكن الرسالة لي، كانت الرسالة موجهة الى فانيسا، ولكني قرأتها لأن فانيسا كانت قد اختفت واعتقدت ان



الرسالة قد تفيدني بعض الشيء، ولكن الرسالة المحت الى ان السيدة اسمها ديمتريا ستصل، وسترافق فانيسا الى لندن، ماذا يعني كل هذا؟».

نظر جيردم الى فانيسا بذهول.

«الافضل ان تقولي لها كل شيء».

اخفضت فانيسا نظرها، ثم نظرت اليه بمكر.

«آه، جيردم هذا شيء محرج، ايجب ان اقوله؟» وتساءلت ماذا لديها من افكار جديدة، يبدو انه يعتقد ان اية قصة اخرى ستكون افضل من لا شيء، وخاصة من الحقيقة.

«طبعاً، يجب ان تخبريها!».

«ان والدة جيردم تعرف معمدتي الآنسة هاريسون جيداً، وجيردم فكر بأنه من الانسب ان ترافقني السيدة هاركورت بدلاً منه، فبالنسبة لسمعته...».

«وانا؟» اعترضت ماتيلدا «اذا كان يجب على السيدة هاركورت ان ترافقك الى معمدتك ماذا كان يجب علي انا ان افعل؟ ان اصل برفقة جيردم؟».

«هيا، فانيسا! كنت من المؤكد سأطلب من احدى فتيات الفندق مرافقتنا».

«حسناً، اعذرني، ولكن اشرح لي لماذا...».

«سأشرح لك، تعالي الى هنا قليلاً».

ابعدت فانيسا صديقتها قليلاً، وهمست بأذنها.

«كان يريد ان يكون وحيداً معك لبعض الوقت، ايتها الغبية! كان يريد ان يسألك اذا كان لديه حظ...».

«حظ؟» سألتها ماتيلدا وقد ابتسمت «آه، فقط لو كنت اعرف! انه يعجبني كثيراً، وانت تعلمين، واحب ان اتعرف عليه اكثر، واريد استغل موسمي الاول، ولكن في النهاية اذا كنا متفقين...».

«اترين؟ وتأكدي بأنني لن انطق بأية كلمة» طمأنتها فانيسا «ولكن سيكون بالنسبة له مهماً جداً ان يعرف اذا كان لديه أمل، والآن يجب ان نتابع طريقنا كي لا نتأخر في الوصول الى لندن».

«هكذا؟ اثنان على ظهر جواد واحد؟ وانت بملابس رجل؟».

عادت الفتاتان وانضمتا الى جيردم واطلعتاه على مخاوف ماتيلدا.

«بإمكانها ان تأخذ الفرس، وانا سأنتظر هنا الى ان تعودا» اقترحت ماتيلدا بلطف لأن الغروب اصبح وشيكاً.

«لا، لا مجال لذلك، لدي حل آخر» اجابها جيردم، فالتفتت الفتاتان اليه بدهشة، فابتسم وصرخ.

«لا تنظر الي بعيني الخوف! اسمعا لقد خطفت ماتيلدا في الطريق، اليس كذلك؟ وسرقوا اموالها وتركوها، كما كنا سنفعل لو كنا لصوصاً حقيقيين» فهزت الفتاتان رأسهما بتردد.

«اذن اقترح ان ننتظر هنا الى ان يهبط الظلام، ثم نذهب الى لندن سيراً عبر الطرقات الصغيرة، يجب على ماتيلدا ان تركب معي، وسأتركها امام باب منزل عمي، فتدق على الباب وتصرخ بأعلى صوتها بأنها خطفت،



وبأنهم سلبوها مالها، وبأنها تابعت طريقها سيراً ويجب ان توسخ ثوبها قليلاً».

«نعم، هذه فكرة رائعة! ويجب عليك ان تصابي بالاغماء» قالت لها فانيسا، ثم التفتت نحو جيردم وسألته «وانا جيردم؟».

«انت؟ اوه، سأوصلك الى فندق محترم تقضين ليلتك فيه، وغداً بإمكانك الذهاب الى اللايدي هاريسون» عدم مبالاته هذه، جرحت مشاعر فانيسا، واحست بمرارة، ولكنها الآن اصبحت تعرف جيريدم اكثر، وهي تعرف انه يخفي مشاعره نحوها، ولكنها لا تعرف اذا كان يحبها كما تحبه. بدون شك لا، كيف يمكن خنق مشاعر عظيمة كالحب؟ لكنه لم يكن غير مبال، لكنه يخادع.

وعندما حل الظلام تابعوا سيرهم، وكانت فانيسا متأكدة انه لن يفوت فرصته هذه، وانه سيحاول اغراء ماتيلدا، لكنه للحقيقة لم يكن سعيداً، وكان قد شعر بتغير كبير منذ ان التقى بفانيسا، فتأمل رأس ماتيلدا الاشقر الذي يتكىء على كتفه، لكنه لم يشعر بأية رغبة فيها.

واخيراً وصلوا الى هانوفر سكوير، فقفزت ماتيلدا، ودقت على الباب، فانفتح الباب وظهر نور في الداخل فتكلمت ماتيلدا قليلاً ثم حملوها واقفلوا الباب من جديد، فابتسم الفارسان وابتعدا.

«حسناً، لقد نجحت اول خطة، والآن تعالي معي لكي تبدلي ملابسك وتعودي لطبيعتك».

وبعد دقائق وصلوا الى منزل جيردم فأدخلها الى غرفة

باردة وطلب منها ان تشعل النار، ريثما يضع الجياد في الاسطبل.

وعاد جيردم فوجدها قد اشعلت النار.

«حسناً، غيري ملابسك، ولا تخافي، فأنا لن...».

«اعرف ذلك».

ارتدت فانيسا ثوبها وسرحت شعرها، وبدا عليها التعب الشديد.

«تبدين متعبة، اتريدين ان ترتاحي قليلاً قبل الذهاب الى اللايدي هاريسون؟».

«لا، لا فلنذهب جيردم، قبل...».

فوضع جيردم الشال على كتفيها.

«ولكن ماذا سيقولون عن حقائبك؟».

«سيعرفون انني هربت».

وكانت خيبة فانيسا كبيرة عندما وصلا الى منزل هاريسون ووجدا المنزل مظلماً.

فصعد جيردم السلم وتفحص الباب دون ان يدق عليه، ثم عاد ونزل واخبرها بأنهم مسافرون. واقترح عليها ان تنام الليلة في منزله، على ان يذهب هو الى ناديه.

«هل استطيع ذلك؟ آه جيردم».

«بالتأكيد اذا كنت لا تخافين من الوحدة، واخشى انك مضطرة للعودة الى ملابس الرجل، فانيسا فأن صاحبة المنزل تعلم انني استقبل احياناً اصدقاء واقارب، لكنها لن تقبل ان تقضي فتاة الليلة في شقتي».

ولحسن الحظ لم تكن صاحبة المنزل موجودة عندما



دخلا المنزل.

«هيا، فانيسا ارتدي البنطلون، فقد يراك احد، فأنا ذاهب لإحضار بعض الطعام».

«لا ضرورة لذلك، جيردم فأنا لست جائعة... لست جائعة كثيراً».

«بلى، انت جائعة وانا ايضاً، لن اتأخر، اسكبي لنفسك كأساً من النبيذ، ويوجد ايضاً علبة من البسكويت» جلست فانيسا امام النار تنتظر عودته، ونام الكلب بقربها فأسندت رأسها على الكنبة، ونامت نوماً عميقاً.

«هو لا، هاركورت، أأنت هنا؟». ففتحت فانيسا عينيها ببطء.

«هاي، هاي! ماذا لدينا هنا؟ طوني تعالى وانظر».

«طفل احمر! حسناً يا صبي! ماذا تفعل هنا؟ الديك لسان؟».

«أ... أنا؟» سألت فانيسا بدهشة عندما وجدت نفسها امام غريبين.

«نعم، انت يا صغيري».

«انا ابن عم جيردم، وهذا الكلب لي».

«واين جيردم؟ عندما دخلنا ورأينا النور مضاء اعتقدنا انك لص» قال الذي يدعى طوني «ارى انك كنت تشرب كونياك اسكب لنا لو سمحت!».

فنهضت فانيسا وسكبت لهما كأسين مليئين.

«هاي، كفى، اذا كنت تشرب هكذا، فليس من المدهش ان تنام وانت واقف، اضف بعض الماء الى



www.elromancia.com

كأسي» قال اكبرهما.

«الماء؟ ولكني لا اعرف اين المطبخ».

«لا تعرف؟ كم مضى على وجودك هنا» سألها طوني واخذ يتأملها، فعادت وجلست وتذكرت انها صبي بين رجال.

«منذ ساعة، تقريباً... انا اوليفر هاركوروت، وانتما...».

«انا ماثيو كولفر، وهذا طوني ماركام، كم عمرك، اثنا عشر عاماً ام اربعة عشرة؟».

«اربعة عشرة عاماً تقريباً».

احضر طوني ابريق الماء وقال لها «اسكب قليلاً من كل كأس في كأس ثالث، لكي استطيع ان اضيف الماء».

«والآن، فلنشرب نخب صحت اوليفر!» قال ماثيو ضاحكاً.

شربت فانيسا كأسها، وتلألأت عيونها بالدموع عندما رأت الشابين يتمددان على الكنبات.

«منذ متى خرج جيردم» سألها ماثيو.

«ذهب منذ ساعة لإحضار شيء نأكله».

«ولماذا لم يصطحبك معه الى النادي؟ اعتقد انه كذب عليك، وذهب للقاء باتس كلارك، او تلك الفاتنة ماجي كونكست، انه يطمح في الحصول على ثروة احداهما بناء على طلب والدته».

ارادت فانيسا ان تبدي رأيها، لكن صوتاً على الباب منعها.



«انك تشغل نفسك بأموري كالعادة طوني؟ سأكون شاكراً لك كثيراً اذا لم تنشر هذه الاقاويل في كل البلاد».

قال له جيردم ثم دخل دون الى يلتفت نحو فانيسا، ثم سكب لنفسه كأساً واخذ الثلاثة يمزحون ويثرثرون دون ان يعيروها اقل اهتمام، وكانت متعبة جداً فأحست بالغضب الشديد، وقاطعت القصة التي كان يرويها ماثيو، وقالت بحدة.

«انا اريد ان انام!».

«لا تكلمني بهذه اللهجة» صرخ جيردم «انا اعرف انك متعب تمدد على هذه الكنبة ودعنا نشرب بسلام».

«لكني... ولكني اريد النوم في السرير، ايمكنني ان ادخل وارتاح؟».

ولمحت في عيون جيردم بريقاً غريباً، ومن الطبيعي كونها تمثل الآن دور الصبي، لا يمكنها ان تبادله النظر طويلاً، فاخفضت رأسها.

فاقترب جيردم واحاط كتفيها بذراعه بحركة اخوية، وقال لها «نعم، ادخل ونم، فماثيو وطوني يعذرانك، لقد كان نهارك شاقاً».

الآن، لم يعد يهمها الجوع، كل ما تريده ان تنام نوماً عميقاً، فبحثت في الجوارير عن شيء ترتديه فوجدت قميصاً لجيردم، وشعرت بالراحة عندما خلعت ملابسها، وغسلت وجهها ويديها وارتدت القميص، وبهذا الوقت سمعت جيردم يودع صديقيه ويقفل الباب، ثم دخل الى الغرفة التي توجد فيها فانيسا.



www.elromancia.com

«جئت لأخبرك انني لن استطيع النوم في النادي».

«لماذا؟» سألته بتعالي «فأنا لا اريد مشاركتك الفراش!».

«لأن ماثيو وطوني ذاهبان الى النادي، وليس من اللائق ان يعلما انني تركت صبياً وحيداً ينام في منزلي، كما وانني اعدك بأنني سأتجنبك قدر الامكان».



## - ١٧ -

هذه الكلمات جرحت مشاعر فانيسا في الصميم.

«لماذا تقول هذا؟ الا اذا كان طوني محقاً، وانت لم تذهب لإحضار الطعام، بل لرؤية تلك الفاتنة ماجي او باتسي...».

«وماذا يهمك انت من كل هذا؟» صرخ جيردم غاضباً.

«حسناً، ان تذهب لرؤية صديقاتك، فهذا يعني انك غير مهتم بي! هيا... اذهب وغازل كل الشقراوات اللواتي في لندن، وسترى انني لن اهتم! ولكنك اذا فعلت هذا فأنا لن احفظ لساني امام ماتيلدا...».

«هكذا؟ اتعتقدين انني لا اريدك، سأثبت لك العكس فوراً! انك مثيرة جداً! وانا لست قديساً يا الهي انك توترين اعصابي!».



www.elromancia.com

«انا آسفة جيردم، لا افهم لماذا وكيف نطقت بهذه الكلمات ارجوك سامحني».

«سنفترق بأسرع وقت ممكن. هذا افضل لنا، لأنه اذا كان يوجد اثنان لا يمكن لهما ان يتفقا، فهما بالتأكيد انا وانت، تصبحين على خير، ايتها الفتاة الصغيرة» وخرج واغلق الباب وراءه.

استيقظت ماتيلدا في اليوم الثاني، عندما فتحت الخادمة ستائر غرفة الضيوف، فابتسمت بفرح، واخيراً بدأ موسمها الاول.

وفوراً خطرت صديقتها ببالها، لقد كان نهار الامس كالكابوس، منذ ان استيقظت الى ان تركها جيردم امام باب هذا المنزل، ولكن ماذا حصل لفانيسا؟ هل استقبلتها السيدة هاريسون، استقبالاً جيداً؟ ام انها قابلتها بالاحتقار؟ وفكرت ماتيلدا في ان تذهب هذا اليوم الى شارع جورج للأطمئنان على صديقتها.

«الطقس رائع اليوم، آنسة راند ولف، لقد احضرت لك الفطور».

«شكراً لك، ايمكنك ان تساعديني في ارتداء ملابسي؟».

«بالطبع، آنستي، واللايدي هاريسون تريدك ان تنزلي بسرعة، ولديها مفاجأة لك».

خافت ماتيلدا ان تكون المفاجأة تشبه حوادث نهار الامس، لكنها طردت هذه المخاوف من رأسها بسرعة، انها الآن في منزل محترم، حيث البرنامج الزمني فيه



مدروس بدقة لقد كانت الحرية قد اعجبتها خلال الايام الاخيرة، ولكن من الافضل العودة الآن الى الحياة الطبيعية.

«لقد طلبت سيدتي تحضير العربة لكي تصطحبك الى محلات الموضة، فأنت بحاجة لأشياء كثيرة، ريثما تصل حقائبك».

وكانت ماتيلدا على عكس فانيسا، تأخذ وقتاً طويلاً في ارتداء ملابسها، وعندما نزلت كانت قد مضت ساعة من الوقت، وكانت تبدو كالاميرة في اناقتها وفي تسريحة شعرها.

عندما دخلت الى الصالون، استقبلتها اللايدي بالابتسام.

«آه، ها هي! اتمنى ان تكوني قد نمت جيداً يا عزيزتي، لقد رويت لصديقتك الليلة المرعبة التي مررت بها امس، وكانت سعيدة جداً بنجاتك وبوصولك سالمة الى هنا، ولكن انت ترين الآن من جاء ايضاً للإقامة عندنا! لقد وصلت في وقت مبكر صباح اليوم لكي تقيم عند اللايدي هاريسون، لكن اولاد هذه الاخيرة اصيبوا بالحصبة، وذهبت الى سوري، وكانت تعتقد ان ضيفتها لن تقبل دعوتها، وعندما التقى بها جيردم وهي تبكي في الشارع، اصطحبها الى هنا».

«صباح الخير، عزيزتي ماثي، انا آسفة لأنني فرضت نفسي عليك، في اول يوم لك في لندن، ولكني حقاً في وضع حزين».

«فانيسا، انا سعيدة جداً برؤيتك! بالفعل ان ما حصل لك محزن! واين كلبك الصغير؟».

«آه... نعم لكنه لن يزعجك ابدًا، اعدك بذلك، انه في المطبخ مع احد الخدم».

ظلت اللايدي ريمنغتون تتأمل الصديقتين وكانت امرأة كريمة ولطيفة، وقالت لنفسها ان جيردم كان متأكداً من ان ماتيلدا سترحب بصديقتها، ولكنها لاحظت ان ماتيلدا لم تكن سعيدة جداً بهذا الظهور المفاجىء، فقد يكون هناك شيء بينهما كمنافسة على قلب رجل.

ولحسن الحظ كانت ماتيلدا ايضاً طيبة القلب، واشفقت على فانيسا، فرغم ثروتها هي يتيمة الأم والأب، وليس لها سوى عمة لا تحب سوى ولديها، ووصي يطمع بأملاكها ويريدها ان تصبح زوجة لأبنه. قبلت ماتيلدا صديقتها.

«فانيسا المسكينة، انا لست متضايقة من بروك، وانا ايضاً احب الحيوانات لكنه لا يرى غيرك انت، انت كل شيء بالنسبة له! اذاً ماذا سنفعل هذا اليوم؟».

«آه، ماتيلدا كم انت لطيفة، والسيد هاركورت كان لطيفاً جداً، لقد اسرع الى سوري ليقابل معمدتي وليطلب منها العودة، لكي استطيع الذهاب الى الحفلات الراقصة» ورغماً عنها اشرقت عيونها وهي تفكر بالملابس الجميلة، هذه النكرة لا تقاوم!.

«سيكون ذلك رائعاً، ولكن...».

«اذا كنت قلقة من اجل المال، فأنت مخطئة، فأنا اعلم



ان الوصي عليك يبخل عليك بالمال، ولكن عندما سيقول له والدي انه سلفك بعض المال فأنه سيضطر الى سداد هذا المبلغ بسرعة، ولا تنسي ان آل راند ولف وآل تالبوت هم اصدقاء قدامى».

صعدت الفتاتان الى غرفتهما، وظلت السيدة ريمنغتون تفكر، لقد شرح لها جيردم ان الآنسة نوريس من عائلة جيدة لكنها ليست ثرية، ومن المعروف ان فريدريك تالبوت رجل غني لكنه بخيل، ومن المحتمل ان تقع املاك آل باسكومب في يده بعد زواج مدبر.

بالتأكيد، يوجد سر في الآنسة نوريس هذه، ومن المؤكد ايضاً ان ماتيلدا لفظت تالبوت بدون قصد منها، وقالت اللايدي لنفسها بأن جيردم بعد عودته من سوري، سيتردد يومياً الى هانوفر سكوير، فهي نيته بالزواج من وريثة غنية، وقررت ان تعرف المزيد عن الآنسة نوريس هذه.

كان اليومان التاليان من اجمل ايام حياة فانيسا، ولم يلاحظ احد انها فانياس باسكومب.

وفي مساء اليوم الثاني، عاد جيردم لينقل رسالة لفانيسا من معمدتها.

ودون ان تدري لماذا، اهتمت فانيسا كثيراً بنفسها، ورشت شعرها، وارتدت فستاناً ازرق رائعاً، وعندما عادت الى الصالون وجدت جيردم بانتظارها فابتسمت له بدلال، عندما لاحظت دهشته.

«هذا لطف كبير منك ان تذهب بنفسك الى اللايدي هاريسون» قالت له بصوت عال وهي تمد يدها نحوه، ثم

همست بصوت منخفض «اهذا افضل ام قميصك، يا عزيزي جيردم؟».

للحظة كاد ان يلتهمها بنظراته، وهو يرى كتيفها العاريين وعنقها الطويل ووجهها المشرق.

«افضلك بذلك القميص» قال بصوت منخفض ثم رفع صوته واضاف «اللايدي هاريسون ترسل لك لك اشواقها وتعدك بالعودة خلال ثمانية ايام».

«آه، لا بأس! الم تقل شيئاً عندما رأت بطاقتي؟» كانت فانيسا تعرف الجواب، فاذا كشفت السيدة هاريسون سرها واخبرت جيردم بأنها الآنسة باسكومب، لظهر شيء على وجه جيردم، فتنهدت براحة، فهي لا تريد ان يحبها لأجل ثروتها واملاكها، ولكن كم ستكون سعيدة اذا كان جيردم يحبها حقاً! وتذكرت ذراعيه حولها، وفمه العذب، واحست بالرعشة.



«ساره» روايات عاطفية، مليئة بالحب
والعطاء والحكمة والاحلام. . . .
«ساره» لكل فتاة وشاب. . . نور من الأمل في
دنيا الحب

www.elromancia.com

# - ١٨ -

«لقد ضحكت، فادركت اننا انك كتبت لها شيئاً عن مغامراتك المحترمة، انها امرأة لطيفة وجميلة».

بهذا الوقت دخل خادم وهمس بعض الكلمات في اذن السيدة ريمنغتون اليت التفتت نحو ضيوفها الذين يستعدون لدخول غرفة الطعام.

«لحظة من فضلكم، ستضيف الخادمة صحناً الى المائدة، لقد وصلت ضيفة اخرى، جيردم لقد جاءت والدتك بعد سفر متعب، فانيسا ماتيلدا، قدما احتراماتكما للسيدة دميتريا هاركورت!».

كانت ديمتريا قد اعدت نفسها جيداً لهذه اللحظة، فمنذ وصولها بعد الظهر الى لندن، لم تتفاجأ بالاشاعة حول ابنها واحدى الوريثات، ولم يهتم بها احد، ولم



يطرح عليها احد اسئلة حول ابنها وحول تصرفاتها.

واكتشفت بسرعة ان ابنها وصل الى لندن برفقة شابة، واخبرها عامل الاسطبل ان جيردم خطف وريثة غنية واصطحبها الى شقته حيث قضيا ليلة حب طويل، ثم رافقها الى منزل آل ريمنغتون.

فغضبت كثيراً لأن ابنها اعاد الفتاة، فآل هاركورت يأخذون دائماً ما يريدونه، ولا يجب ان يضعف ابنها امام توسلات امرأة، حتى ولو كانت اجمل نساء العالم!.

وفهمت بسرعة ماذا ستفعل، ستذهب الى هانوفر سكوير في وقت يكون الجميع مجتمعين فيه، وستقول كل شيء، وهكذا سيضطر جيردم للزواج من هذه الفتاة الجميلة كانت ام بشعة، لطيفة ام فظة، المهم ان تزول هموم ابنها.

والأم هي تواجههم جميعهم، وتنقلت عيونها بين المجتمعين، اخوها وزوجته الغبية، وابنها الطائش وآنستان تحيطان به وكلاهما جميلتان.

وكانت دهشتها كبيرة عندما تعرفت على الفتاة الشقراء التي اهانتها في ذلك الفندق، اما الاخرى فهي فتاة رائعة، من النوع الذي يجعل الرجل يفقد صوابه! وكان بين هذه المجموعة، صديق لجيردم ايضاً.

«اذن يا بني! اجدك هنا مع جميلتك في منزل اخي!».

وكانت الفتاتان قد انحنتا وسلمتا عليها، ومد اخوها يده ليرافقها الى غرفة الطعام، وفجأة عندما تكلمت ساد صمت مخيف، فالتفتت ديمتريا نحوهم، وقالت.

«ن ابني، الذي افقده الحب صوابه، قد خطف هذه

الفتاة واصطحبها الى مكان ما واغراها! نعم اغراها! لست ادري اية خدعة استعمل للحفاظ على هذا السر، ولكن واجبي يحتم علي البوح بالحقيقة، وانا اصر على ان يتزوج ولدي من هذه الفتاة الذي جلب لها العار، وارجوكم، لا تنسوا انه معذور لأنه تصرف بدافع الحب فقط!».

ثم تقدمت وامسكت يد فانيسا ويد ابنها وجمعتهما فشحب وجه فانيسا وجحظت عيونها.

«اتنكر ذلك يا بني؟ اتجرؤ على ان تنكر انك خطفت هذه البريئة، وانك الحقت بها العار؟» سألته والدته، وكانت تتوقع ان ينفجر غاضباً، لكنه ضحك كثيراً، فتراجعت والدته خطوة للوراء.

«اتجد هذا مضحكاً! اتجرؤ على نفي خطفك لهذه البريئة؟» فهز رأسه بسخرية ودون ان يترك يد فانيسا.

«لا، يا والدتي العزيزة، لا انا لا انكر آه، يا الهي! نعم لقد خطفت هذه الانسة البريئة آه، ديمتريا، لو تدرين ماذا فعلت!».

«ماذا فعلت؟ ماذا تعني؟».

فعاد للضحك من جديد بشكل وقح، جعل والدته تتراجع للوراء وتضع يدها على قلبها.

«لقد حصل خطأ، يا امي! هي تكون الانسة نوريس، فتاة رائعة وعادية، وهذه الآنسة هي الانسة راند ولف الوريثة! وبتدخلك هذا تضطريني للزواج من الانسة نوريس، التي لا تملك ميراثاً، فقط من اجل انقاذ شرفها بعد اتهاماتك هذه بينما الوريثة الحقيقية ذهبت، ودون اي



خوف منا!».

اخذت ماتيلدا تنقل نظرها بينهما بحيرة كبيرة، ومدت يديها وكأنها تطلب ايضاحاً اكبر، اما فانيسا فبدت كأنها حجر لم تعد ترى شيئاً، وضحكات الرجل الذي تحبه تجرح اذنيها، صرخت ديمتريا ووقعت على الارض، واصيبت بنوبة هستيرية فاجتمع الكل حولها ما عدا جيردم الذي لا يزال يمسك بيد فانيسا.

«لا تقلقوا من اجلها» قال باحتقار «لقد سبق لها وتعرضت كثيراً لمثل هذه الازمات، يوجد شيآن تكرههما كثيراً، ان يعارضها احد او ان يسخر منها، وهذا ما حصل لها الآن، فيغمى عليها لكي تدير الانتباه عن سخافتها وعن حيلها القذرة».

«لا تتكلم هكذا عن والدتك» اعترض السير توماس بحدة «وافعل شيئاً! اليس معها حبوب دواء...؟».

«بلى، لديها دائماً حبوب في جيبها» ثم ترك يد فانيسا الباردة وانحنى فوق والدته.

«يا الهي، انها تفقدني عقلي» واخرج علبة من جيبها ووضع حبة في فمها. ثم سقاها جرعة ماء «انا اتكلم جدياً، سأتزوجك ايتها المسكينة، وستعيشين نادمة كل حياتك!».

ثم نهض بعد ان هدأت حركات والدته، والتفت نحو السير توماس.

«سير توماس، ديمتريا هي اختك وانت بالتأكيد رأيتها في مثل هذه الحالة من قبل انده لخدمك كي يأتوا وينقلوها

الى السرير، واطلب من احدى الخدمات ان تبق بقربها، وغداً صباحاً ستكون بخير».

شدت اللايدي ريمنغتون على ذراع زوجها وقالت بصوت مرتجف.

«لم يسبق لي ان رأيت ديمتريا في مثل هذه الحالة! لقد ارعبتني!».

«كان هذا يحصل لها دائماً» قال السير توماس «ولكنني كنت اعتقد ان هذا انتهى مع الزمن، عندما كانت صغيرة، اذا لمست احدى الفتيات لعبة من العابها او اذا خسرت في لعبة ما، كانت تتصرف هكذا، وكان الطبيب يقول ان هذا غنج وانانية، ولكني كنت اظن انها تخلت عن هذه التصرفات».

«اخشى ان تكون فانيسا مريضة» قالت ماتيلدا بقلق «لقد وضعت يدها على فمها وركضت نحو السلم».

التفت جيردم نحو السلم وقال بلهفة.

«سأرى اذا كانت بخير».

«لا يمكنك الصعود الى غرفتها!» اعترضت اللايدي ريمنغتون.

«لا؟ يا خالتي العزيزة، بما انه يجب علي الزواج منها لأنني اغريتها واصطحبتها الى منزلي حيث قضينا ليلة حب، فأنا لا ارى اي مانع كي اذهب لرؤيتها الآن لكي اواسيها واجفف دموعها، واعدك بأن لا ارمي نفسي فوقها...».

«جيردم! كفى!» صرخ السير توماس «انا لا اعلم اذا



كانت اتهامات والدتك صحيحة، ولكني اعلم ان هذه الفتاة المسكينة يائسة، دعها بسلام، يا بني ماريا؟».

«نعم؟».

«اصعدي واهتمي بضيفتك، وخذي معك ماتيلدا وقولي لفانيسا اننا لا نصدق اية كلمة من كل هذا، وان جيردم سيتزوجها، وقولي لها... يا الهي، فأنت تعرفين كيف تواسينها!».

«اعلان وفاتي، طبعاً» قال جيردم بحدة.

«قلت لك كفى! يا الهي لم اكن اعتقد ان ابن اختي، قادر على تحطيم فتاة بريئة، مهما سبق لك ان فعلت و...».

فاقترب جيردم من السير توماس. ووضع يده على كتفه.

«اقسم لك، بحياتي انها لا تزال طاهرة، وعفيفة! كنت انوي... يا الهي نعم، كنت انوي اغراءها ولكن...».

«لا اريد معرفة شيء آخر، وانا سعيد بمعرفة هذا القدر، لأنني لم اكن اعتقد انك بهذه الاخلاق، والآن فليأت الخدم لنقل والدتك».

حمل الخدم ديمتريا، فتأملها جيردم قليلاً، وهمس بأذن صديقه سولارز الذي كان شاهداً على هذا المشهد.

«لقد تحسنت حالها تماماً، لكنها تتابع لعب دورها، انظر الى جفونها التي تهتز، وهكذا سولارز، سيكون لديك قصة جميلة تتسلى برؤيتها في النادي غداً!».

«كلام شرف، هاركورت ولا اية كلمة... مهما حصل... نحن اصدقاء منذ مدة طويلة».



www.elromancia.com

«اتمنى ان تتذكر ذلك والا ستجد رصاصة في بطنك! مثل كل من يجرؤ على قول كلمة عن الآنسة نوريس، اما بالنسبة لوالدتي وبالنسبة لأغماءاتها، فبإمكانك ان تشيع ما شئت من الروايات في كل البلاد».

«اذن انت تحبها؟».

«احبها كثيراً، وانا لا ارغب الزواج من غيرها، ولكن الذي يزعجني... وقوعي في فخ...».

«ولكن لا، اذا لم تكن قد... اية... حسناً فلا يوجد سبب يرغمك».

«هذا ممكن... آه لقد عادت خالتي فلنسألها عن حال المسكينة فانيسا، اذاً خالتي ماريا؟ اتريد رؤيتي؟ هل هي متعبة جداً؟».

«لا ليس كثيراً، حتى ولو كانت متعبة فهي لن تظهر ذلك، وقالت بأنها لن تتزوجك ابداً، وانه يجب ان تبق حراً، وانها ستشرح كل شيء في الصباح».

«ولكن... ولكنني اريد رؤيتها الآن! هيا يا خالتي، لقد تلفظت بكلمات ندمت كثيراً عليها ولن اسامح نفسي اذا ظلت فانيسا على موقفها! اقسم لك...».

«دعها جيردم، انها بحاجة للتفكير، وغداً صباحاً...».

«فليذهب الغد الى الجحيم، اريد ان اعتذر منها الآن فوراً».

ثم ابعد خاله وزوجته وصعد السلم كالسهم ولم يتوقف الا في غرفة الضيوف الاولى، فلم يجد فيه احداً وعند خروجه منها اصطدم بماتيلدا التي كانت تخرج من الغرفة



الثانية.

«هل هي بالداخل؟ يجب ان اكلمها!».

بدا الذهول على وجه ماتيلدا.

«لا يوجد احد هنا، كانت فانيسا في الغرفة الاولى، وكانت تقفل على نفسها بالمفتاح».

فامسكها جيردم وهزها بعنف.

«دعني جيردم، انا لست متيمة بك! واذا لم تكن هنا، فلا بد انها نزلت».

«كيف؟ لقد كنا كلنا في المدخل و... يا الهي سلم الخدم؟».

واسرع نحو سلم الخدم، ونزله راكضاً ودخل المطبخ وهو في قمة غضبه، فأكدت له احدى الخادمات ان فانيسا خرجت منذ عشرة دقائق وهي تحمل كلبها، وقالت لها بأنها تريد ان تقوم بنزهة حول القصر.

خرج جيردم مسرعاً، فوجد باحة القصر خالية، فبحث في الاسطبل، وفي المخزن وجاب الشوارع المحيطة وهو ينادي فانيسا، بروك، ووزع قطعاً نقدية على كل الاولاد الذين التقى بهم لكي يبحثوا له عن فتاة ترتدي ثوباً ازرق وتحمل كلباً ابيضاً صغيراً.

لم يجدها احد، وكأنها تبخرت، فعاد يبحث عنها في باحة القصر، وعندما دخل الى الاسطبل لاحظ ان حصانه تيرور لا يهتم بالتبن الذي في العلف، لأن التبن مغطى بثوب ازرق، وهذا يفسر سبب اختفاء فانيسا، لقد بدلت ملابسها وتنكرت، وعندما اكتشف جيردم ثوبها كانت فانيسا

قد اصبحت بعيدة جداً.

وصلت فانيسا الى تقاطع طرق وهي تشعر بالكآبة واليأس الشديد، وكان بروك يركض بجانبها، وتساءلت فانيسا الى اين تذهب وماذا تفعل حتى الصباح.

وفجأة التقت برجل كبير يرتدي السواد ويبدو انه محترم جداً.

«يا ابنتي العزيزة، لا يجب عليك ان تجوبي الشوارع في مثل هذا الوقت المتأخر! لا تخافي مني، فأنا خادم الله، واحب مساعدة الجميع، بإمكني ان ارشدك الى فندق ممتاز حيث...».

وكانت فانيسا متعبة ويائسة، فقبلت دعوة الرجل لكن بروك تجاهل لهجة الرجل اللطيفة، وملابسه المحترمة وتعلق بثوب سيدته وبدأ بالنباح.

«ان صاحبة هذا الفندق امرأة لطيفة جداً، وتحب العمل الانساني» وتقدم الرجل خطوة نحو فانيسا وهو يبتسم فوثقت به واعتبرته صادقاً.

«اتسمحين لي بأن اقدم لك ذراعي، يا آنسة؟».

تدخل بروك بهذه اللحظة وامسك باسنانه بنطلون الرجل بعنف حتى مزقه، فتراجع الرجل وشتم الكلب بكلام جعل وجه فانيسا يحمر من الخجل، وطلب منها ان تبعد كلبها عنه.



## - ١٩ -

«اعتقد انه لا يحبك» قالت له فانيسا وبدأت تتساءل اذا كان هذا الرجل حقاً لطيفاً ويحب الخير.

ضحك الرجل قليلاً رغماً عنه.

«كل الحيوانات هكذا، واخشى ان يكون كلبك الصغير هذا لا يحب رجال الكنيسة».

«آه، انت كاهن؟ بهذه الحالة انا اشكرك، بروك تعقل!».

لكن بروك كان ذكياً، ويعرف متى يجب ان يطيع ومتى يجب ان لا يطيع، فعاد وتعلق بثوب سيدته واخذ بالنباح، وما ان اقترب الغريب من فانيسا، حتى هاجمه الكلب، فحاول الذي يدعي انه كاهن ان يهرب منه، لكن بروك مزق بنطلونه ولم يتركه الا بعد ان سالت الدماء من يديه،



www.elromancia.com

فهرب الرجل.

بهذا الوقت اقترب رجلان من الحمالين يحملان زبوناً عائداً من السهرة، فأسرعا، وانزلا الكرسي الذي يجلس عليها الرجل واشفقا على فانيسا.

«ماذا يجري هنا آنسة؟ هل حاول التعرض اليك؟».

«اخشى ان يكون العكس صحيحاً، انه كاهن وعرض على ان يوصلني الى فندق محترم انام فيه، لكن كلبي هاجمه، وانا متعبة جداً».

«كاهن؟ هو كاهن؟ هيا اذن انه شارلي بوبارلار، ويجب ان تشكري هذا الكلب كثيراً، والفندق المحترم الذي كلمك عنه هو...».

انحنى رجل من الكرسي واراد ان يتكلم عندما رأت فجأة وجهاً اليفاً، وتذكر انه سمع مثل هذا الصوت.

«آه طوني!!! يا الهي، هذا انت! ايمكنك مساعدتي؟ انا يائسة، لأن هذا الرجل لم يكن كاهناً كما ادعى و... كان يجب ان اشك به عندما شتم الكلب ببذاءة! لقد هربت...».

حجظت عيون طوني، ثم بدأ بالضحك.

«يا الهي، انه ابن عم جيردم! مثلاً! ... يا له من شيطان...».

«آه، سيد الديك منزل ووالدة محترمة بإمكانها ان تشفق علي لليلة واحدة؟ لست ادري ماذا افعل!».

نزل طوني من الكرسي، واعطى النقود للحمالين.

«الافضل ان تأتي معي، لا تخافي... فأنا لست معتاداً



على خداع اصدقائي، بجعل الفتيات تتنكرن بزي الرجال، ومن ثم اغري بهن وارميهن في الشارع».

«جيردم لم يفعل ذلك! هو وجدني في لباسي ذلك و... وسمح لي فقط بأن اقضي الليلة عنده، بانتظار ان اتمكن من الذهاب الى معمدتي».

«آه، حسناً...».

فتح طوني باب منزله، وادخلها الى غرفة واسعة مريحة.

«والى اين كنت تريدين الذهاب؟».

«الى... الى منولي، ولن اهرب مرة ثانية».

وكانت فانيسا صادقة هذه المرة، لقد هربت على أمل ان تعيش مغامرة رائعة، وضحكت وبكت، ولكن قلبها محطم وكل ما تريده هو ان تبتعد لكي تنسى ولكي تخفي همومها عن عيون الناس.

«واين تسكنين؟».

«في الشمال، واعرف اية عربة استقل، ولكني لا اعرف مواعيدها آه، سيد اعدك بأن اعيد لك المال اذا اعطيتني ما ادفعه من تكاليف سفري، اعدك بذلك ولن انسى طيبتك ابداً».

«نعم، بالتأكيد، سأعطيك ما تحتاجين اليه، ولكني اريد معرفة لماذا ترحلين عن معمدتك، اتمنى ان لا تكوني قد ارتكبت حماقات».

«اوه، لا! ولكن والدة جيردم علمت بأنني قضيت ليلة عنده، وجاءت وتكلمت عني باشياء ليست صحيحة وامرت جيردم ان يتزوجني فوراً».



www.elromancia.com

نظر طوني اليها بدهشة، وتأمل ثوبها الرث الذي كانت قد استعارته من احدى الخادمات.

«ديمتريا قالت هذا؟ هل انت متأكدة؟».

«انا اعلم بماذا تفكر انت، لكنها اعتقدت انني الآنسة راند ولف، الوريثة الغنية، وكنت اقف بين جيردم وماتيلدا، فاعتقدت انني...».

«آه نعم، فهمت» وضحك طوني «ارادت ان تفرض هذا الزواج وارتكبت خطأ كبيراً، يا لها من... ولكني اعتقد ان جيردم اخبرها الحقيقة».

«لست ادري، لأنها وقعت فوراً واغمي عليها، فانشغل الجميع بها، فهربت انا بسرعة دون ان ينتبهوا لي».

«نعم، انا لن اقدم لك سريري، لأنني لا اريد ان اتسبب بفضائح ولكن بإمكانك النوم على الكنبة، سأوقظك في الخامسة صباحاً، لا تخلعي ملابسك! سنعلم غداً متى تنطلق اول عربة متجهة نحو الشمال».

كان الطقس جميلاً في شهر ايار هذا، والحدائق مليئة بالازهار، وكانت ماتيلدا تتنزه في الميدان وهي بكامل اناقتها، وهي تعلم انها جميلة وفاتنة...

وكان جيردم يمشي بجانبها، والحزن باد على وجهه، لقد نجح في اقناع الجميع انه لم يغر الآنسة نوريس وانه تصرف معها كرجل نبيل.

وكان والد ماتيلدا قد زارها في هانوفر سكوير، واعجب كثيراً بالسيد هاركورت المهذب الحيوي الذي لا يهتم سوى بمزرعته، وبسداد ديون عائلته، ولاحظ والد ديمتريا



ان جيردم معجب بابنته.

لكن ماتيلدا ادركت ان جيردم يلاحقها ويتبعها دائماً فقط من اجل ان يكلمها عن فانيسا، وكانت ماتيلدا قد علمت ان صديقتها اصبحت في منزلها، لأنها استلمت منها رسالة مختصرة، بعد ثلاثة ايام من رحيلها، وقالت لها فيها «انا في منزلي، لا تقولي شيئاً فانيسا».

لم تقل ماتيلدا شيئاً، لكنها كانت تقاوم كثيراً عندما ترى عيون جيردم الحزينة.

وهو الآن يسير الى جانبها، لكنه اصبح عبارة عن جسد بلا روح، فكره بعيداً جداً، وكان عندما تكلمه يجيبها بأدب لكن بإيجاز.

«انه نهار جميل، سيد هاركورت نعم، بالطبع ولكني اعتقد انها ستمطر هذا المساء».

تابعت ماتيلدا حديثه وكأنها تحدث نفسها، وتمنت ان يبتسم جيردم، لكنه لم يفعل.

فتوقفت عن السير، وضربت الارض برجلها، وقد فقدت صبرها.

«جيردم، اريدك ان تعيدني الى المنزل، ارجوك واريدك ان تتوقف عن زيارتي! هذه الصداقة عبارة عن خداع، انك تبعد عني كل المعجبين بي بزياراتك المتكررة، ولكني لا اهمك ابداً، وانا اتمنى ان اتزوج برجل يعتبرني جميلة ويشاركني، افراحي واحزاني، انت لا تفكر سوى بمالي، لكي تعيد الازدهار الى مزرعتك، كما وانك لا تفكر سوى بصديقتي فانيسا التي الحقت العار بها».

وقف جيردم واخذ يتأملها.

«انت محقة، ماتيلدا، انا لا اريد ان الاحقك، ولا اريد ان اتسبب بإيلامك، كل ما اريده من الحياة، ان اجد فانيسا، واذا لم اجدها، فأنا سأموت من اليأس» وابتعد عنها بخطى سريعة.

«اذا كنت مهتماً جداً بفانيسا، فماذا تنتظر لكي تبحث عنها؟» صرخت ماتيلدا وركضت لكي تلحق به.

«صدقيني، لقد حاولت فأنا اعلم انها تقيم في الشمال الغربي، وقد لا تكون بعيدة عن مزرعتي، وانا اعلم انها تسمى فانيسا نوريس، وان لديها كلب ابيض اسمه بروك، لقد كتبت الى كل اصدقائي، وجيراني وعدت الى مزرعتي، وسألت كل من وجدته في طريقي، وبحثت في كل المدارس الداخلية، لأنني علمت انها كانت معك في هاروغرات، لكني لم اجد لها اي اثر، وكأنها لم تكن موجودة اصلاً!».

«واذا وجدتها؟ ماذا ستفعل؟ بإمكاني مساعدتك، اذا...».

وكانا قد خرجا من الميدان واصبحا على الرصيف الذي يعج بالمارة، فتوقف جيردم من جديد وامسك يدي ماتيلدا وضغط عليها بقوة.

«انت تعلمين اين هي؟ ماتيلدا، انا... انا...».

«نعم اعلم، ولكنني اجهل نواياك، فهي قد تكون نسيت الآن، والافضل لها ان تبق بسلام».

ورأت في عيون جيردم بريقاً لم تره منذ اسابيع طويلة.



سأشفيها بسرعة! يكفي ان اضمها بين ذراعي..».

«جيردم! اسمعني اذا قلت لك انها ابنة مدير مزرعة كبيرة، وانها تربت في منزل صاحب القصر كي تكون رفيقة لأبنته، اترغب ايضاً بإيجادها؟».

«نعم!».

«حسناً، بهذه الحالة... آه يا الهي... اتساءل اذا كان يجب علي...».

«ماتيلدا ارجوك، اذا بقيت على عنادك فأنني...».

«حسناً، ولكن يجب ان تتصرف معها جيداً».

«ولكن نعم! قولي لي اين هي!».

«في باسكومب هال، قرب سد تريوره».

فأمسكت ماتيلدا بذراعه.

«اوه، لا! لا يمكنك ان تتركني هنا في نصف الشارع اعدني اولاً الى هانوفر سكوير!».

كانت فانيسا تتنزه في الحديقة وبروك يقفز خلفها، واذا سألها احد عما تفعل، كانت ستجيبه بأنها تنزه كلبها، لكنها للحقيقة كانت تحاول ان تمضي وقتها، كما تفعل كل يوم، وكانت تحاول ان لا تفكير بجيردم، لكنها لا تستطيع، وكثيراً ما فكرت بماتيلدا التي تقضي موسمها في حفلات ونزهات بين خطابها الكثيرين.

وكان الطقس جميلاً، فاتجهت فانيسا نحو المنزل لكن بروك كان يؤخرها في وقوفه كل قليل لكي يشم كل شيء في طريقه.

وابعدت الازهار البنفسجية عن ثوبها وتأملته قليلاً لقد

اصبحت نحيفة جداً، لأنها لا تنام جيداً، ولأنها فقدت كل شهية للطعام.

عندما سأنساه سأشتري ملابس جديدة، وسأهتم بزينتي اكثر، والسيد تالبوت سيعطيني المال الكافي، وسأعود لتناول الطعام كالعادة.

ولم تكن تجروء على لفظ اسم جيردم حتى بينها وبين نفسها، وعندما اقتربت من القصر، سمعت وقع حوافر جواد يقترب فالتفتت الى الخلف ورأت رجلاً على حصانه الاسود يتجه نحوها، وللحظة توقف قلبها في صدرها، لكنها هزت رأسها وتابعت سيرها، انها ليست المرة الاولى التي تتوهم فيها انها تراه، ولكنه لم يكن سوى سراب.

توقف الحصان بقربها، وقفز الفارس الى الارض وامسكها وضمها اليه حتى كاد ان يخنقها، تركته فانيسا، واغمضت عينيها، ولم تجروء على تصديق ما تراه...

«حبيبتي!» واخذ يقبلها بحنان على جبينها، وعلى طرف انفها، وترددت شفاهه على شفتيها، عندئذ عقدت فانيسا يديها حول عنقه، وضمته ايضاً وسالت الدموع على وجهها.

وعندما ابعدها قليلاً شعرت بالبرد، فهزت رأسها وكأنها تريد ان تتحقق مما هي فيه.

«جيردم؟ هل جئت من اجلي؟ أأنا حقاً من تريد؟».

فضمها اليه من جديد.

«حبيبتي، ماذا حصل لك؟ ماذا فعلوا بك؟ انت نحيفة جداً، لقد ضعفت كثيراً! ووجهك شاحب جداً!».



ثم طبع قبلة على شعرها، وابعدها قليلاً وتأمل وجهها.

«سأقتل اولئك الذين عذبوك هكذا».

«لم يفعل احد بي شيئاً، لم اكن آكل شيئاً تقريباً، ولكن لماذا عدت الآن، جيردم؟ لماذا لم تأت من قبل؟».

«لأنني لم اكن اعلم اني تختبئين! لقد بحثت عنك في كل مكان، ولكني لم اجد اي اثر لك واخيراً اشفقت ماتيلدا علي واعترفت لي بمكانك وبأنك ابنة مدير مزرعة باسكومب هال».

«ما... ماذا؟».

«نعم، لقد اخبرتني، واعتقدت انني سأغير رأيي، لكنك انت، فانيسا، يا حبيبتي الامرأة الوحيدة التي ارغب بالزواج منها! فانيسا، اتقبلين الزواج مني؟» اشرقت عيون فانيسا وعادت من جديد تلك الفتاة المرحة الماكرة التي يعبدها...

«نعم، احب ان اكون زوجتك، جيردم ولكني اعتقد ان الوصي علي لن يسمح بذلك».

«سأقنعه! سأروي له انني املك اراضي كثيرة...».

«لن ينفع ذلك، يا عزيزي، سيقول بأنك تريد الزواج مني من اجل ثروتي».

«ثروتك؟ لكنك لا تملكين اي ثروة! وانا ايضاً لكننا لسنا بحاجة لشيء، وهذا ليس مهماً، هيا خذيني اليه وانا سأكلمه».

«انك تضيع وقتك، جيردم سيقول لك سيد هاركورت، انت تطمع بثروة الأنسة باسكومب، وانا اريدها زوجة



www.elromancia.com

لأبني».

«الآنسة... ولكنك الآنسة نوريس؟».

وتوقف وتأملها بذهول، فهزت رأسها واشرقت عيونها.

«لا، لقد كذبت عليك، يا حبيبي، انا فانيسا باسكومب وكل هذا ملكاً لي» واشارت نحوا القصر والحدائق والمزرعة «كل هذا واكثر منه بكثير، من المؤكد انك سمعت الكثير عن ثروة، باسكومب جيردم؟».

فهز رأسه تغيرت ملامحه، فتوقفت فانيسا عن المزاح، ورفعت يديها وداعبت وجهه بحنان.

«لا تحزن، جيردم! لا يزال امامنا الحدود» وضحكت عندما زأت وجهه يشرق من جديد.

«اتفعلين هذا؟ اتقبلين بأن تتخطي التقاليد وتجتازي الحدود معي؟ سيقول الجميع انني كنت اطمع بثروتك...» فرمت نفسها بين ذراعيه، وقبلته بشوق كبير، وصرخت «لا يهمني! لا يهمني من كل هذا العالم الا انت! آه جيردم، تعالى لنهرب معاً! الآن فوراً».

ظهرت امرأة شقراء امام باحة القصر، واخذت تنظر اليهما بذهول.

ابتعد جيردم عن فانيسا قليلاً.

«هل هذه عمتك؟ ايجب ان اكلمها؟».

وقفت فانيسا على رؤوس اصابع قدميها وقبلته الى ان سكت واستجاب لعناقها بكل شوق الاسابيع الماضية.

«اانت جادة فيما تقولين؟ اذن هيا بنا! هوب!».

ورفعها فوق جواده وركب خلفها.



«جيردم، احضر بروك ايضاً».

فانحنى وحمل الكلب ووضعه بين ذراعيها، ثم انطلق تيرور بسرعة غير مبال بحمولته المزدوجة.

وعندما ابتعدا، تنهدت فانيسا واسندت رأسها على كتفه، وبعد صمت قصير قالت له فانيسا.

«نعم، كانت تلك السيدة عمتي».

«حقاً؟ اتساءل ماذا ستفعل الآن...».

«وانا ايضاً، لكني لست مهتمة» وتنهدت بسعادة كبيرة.

«وانا ايضاً!» ثم تبادلا قبلة حب طويلة.

وتابع الحصان الاسود طريقه نحو الحدود.



www.elromancia.com